الدفعة ثانية ماستر آدب حديث ومعاصر

السداسي الأول

قسم اللغة والأدب العربي جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

المحاضرة: 01 **مقياس :** النثر المغاربي للحديث المعاصر

الدكتور : العلمي مسعودي

2022/2023

عوامل النهضة الأدبية في العصر الحديث

أ - البعثات العلمية

يأتي هذا الباعث في المقدمة. وقد بدأت فاعليته بعد انتشار الثقافتين الفرنسية والإنكليزية في المدارس والمعاهد التي أنشئت في الشام ومصر وتخرج فيها المعلمون الذين بعث بعضهم إلى فرنسا لإتمام تحصيلهم في مختلف العلوم. وكانت أولى البعثات عام 1826 في عهد محمد علي باشا، إذ اختير أربعة وأربعون طالباً من طلبة الأزهر، رأسهم رجل النهضة الكبير رفاعة الطهطاوي (1801-1873م). وقد عمل هؤلاء المبعوثون بعد عودتهم، وكل في نطاق اختصاصه، في ميداني الترجمة والتعليم. ثم توالت البعثات فيما بعد، فشملت عدداً من البلدان الأمريكية والأوربية.

- الترجمة

كان لترجمة الكتب الفرنسية والإنكليزية إلى العربية أثر كبير في النهضة الأدبية. وقد بدأت حركة الترجمة في بلاد الشام على يد بعض رجال البعثات الدينية، إذ ترجم هؤلاء بعض الكتب التي احتاجوا إليها في التدريس. لكن حركة الترجمة لم تقو وتتنوع إلا بعد عودة رجال البعثة المصرية الأولى الذين بدؤوا بترجمة بعض الكتب العلمية. ويعود الفضل الأكبر في تنشيط هذه الحركة إلى الطهطاوي الذي أنشأ «مدرسة الألسن» عام 1835. وقد عنيت هذه المدرسة بتعليم اللغات الأجنبية المختلفة، وترجم خريجوها مئات الكتب والقصص والمسرحيات. وشارك السوريون واللبنانيون بقوة في تلك الحركة، ولاسيما بعد أن هاجر بعضهم إلى مصر، مثل: نجيب الحداد، وبشارة شديد، وطانيوس عبده، حتى بلغ عدد الكتب المترجمة نحواً من ألفي رسالة وكتاب. ثم اتسع نطاق الترجمة بازدياد مطرد وما زال يتسع حتى اليوم إذ تشمل المترجمات أهم روائع الأدب العالمي في سائر اللغات الأجنبية الحية.

- الطباعة

أنشئت أول مطبعة بحروف عربية في إيطاليا عام 1514م، وطبع فيها بعض الكتب الدينية كسفر الزبور، ثم طبع القرآن في البندقية.

أما في البلاد العربية فأول مطبعة أنشئت فيها كانت في حلب سنة 1706م، ثم تلتها مطبعة الشوير بلبنان سنة 1734م ثم أنشئت مطبعة في بيروت سنة 1751م.

ولما قام نابليون بحملته على مصر سنة 1798م أحضر معه مطبعة مزودة بحروف عربية ولاتينية، وقد استخدمها لطبع المنشورات والصحف الخاصة بالحملة. وبعد انتهاء الغزو جعل محمد علي تلك المطبعة نواة للمطبعة الأهلية التي أسسها عام 1821م والتي عرفت فيما بعد باسم مطبعة بولاق، وطبعت فيها الكتب الدراسية والكتب المؤلفة والمترجمة. وبعد أربعين سنة بدئ بإنشاء مطابع أهلية كان أقدمها مطبعة «وادي النيل» ومطبعة «جمعية المعارف».

كذلك تأسست في بيروت «المطبعة الأمريكية» عام 1834، ثم تلتها «مطبعة الآباء اليسوعيين» عام 1848، ثم مطبعة «الجوائب» التي أنشأها أحمد فارس شدياق في الآستانة عام 1861. وقد نشرت كتب كثيرة في هذه المطابع، وبينها عدد من المعاجم العربية القديمة وطائفة من كتب الأدب ودواوين الشعر القديم إلى جانب أمهات كتب التاريخ.

وقد تزايد عدد المطابع منذ مطلع القرن العشرين وتطور نوعها وأصبح أكثرها آلياً حتى لم يخل بلد عربي من مطبعة رافقت تكاثر عدد الصحف والمجلات.

ب- حركة إحياء التراث

كان من أثر الاتصال بالغرب، وابتداء الاستقاء من ثقافته، وما رافق ذلك من استشراق أو استغراب، أن تنبهت العقول إلى ضرورة إحياء التراث العربي ونشره. وقد أنشا علي مبارك جمعية لنشر المخطوطات العربية القديمة برئاسة الطهطاوي. وفي عام 1898 تألفت جمعية أخرى للعناية بنشر كتب التراث، وكان من أعضائها أحمد تيمور وحسن عاصم وعلي بهجت. وقد أفادت حركة إحياء التراث مما سبقها إليه المستشرقون في ما نشروه من كتب التراث العربي، إذ عرف عن هؤلاء منهجهم العلمي في تحقيق المخطوطات، ومراجعة أصولها، وموازنة بعضها ببعضها الآخر، كما إنهم أخرجوا ما نشروه في طبعات أنيقة مزودة بالتعليقات المفيدة والفهارس الدقيقة.

ولايزال نشاط حركة إحياء التراث في تصاعد مستمر بفضل ازدياد الوعي بضرورة معرفة التراث معرفة صحيحة وشاملة، وتمثل خير ما فيه تمثلاً موضوعياً مفيداً.

- الصحافة

الأخوان بشارة وسليم تقلا أسسا جريدة الأهرام المصرية عام 1876م.

كان لإنشاء المطابع، وانتشار الطباعة أثر واضح في ظهور الصحافة. ومن المتفق عليه أن الصحافة العربية ظهرت في مصر قبل غيرها من البلاد العربية، وكان ذلك في النصف الأول من القرن التاسع عشر، فقد أنشأ نابليون عام 1800م جريدة «التنبيه» وأصدرت البعثة العلمية الفرنسية سلسلة تاريخية قام بتحريرها إسماعيل الخشاب. فلما جاء محمد علي أصدر أول صحيفة عربية سنة 1822م هي «جرنال الخديوي» بالعربية والتركية ثم أصدر جريدة الوقائع المصرية سنة 1828م، باللغتين العربية والتركية ثم اقتصرت على اللغة العربية. وقد تداول رئاسة تحريرها بعض كبار الأدباء منهم الطهطاوي وحسن العطار والشدياق ومحمد عبده وعبد الكريم سلمان. وتلتها «المبشر» التي أصدرها الفرنسيون في الجزائر عام 1847م وكانت تصدر مرتين في الشهر، وكان حجمها كبيراً وعباراتها ضعيفة. ثم توقفت الصحافة

في مصر وظهرت في سورية، أولاً على يد الإرساليين الأمريكيين إذ أصدروا نشرة دينية عام 1851م كانت تخرج مرة في السنة، ثم مرة كل أربعة أشهر، ثم احتجبت عام 1855م، وفي هذه السنة أنشأ رزق الله حسون في إسطنبول «مرآة الأحوال» وهي أول جريدة عربية سياسية خاصة، لكنها لم تستمر بعد السنة إلا قليلاً، وأنشئت بعدها جريدة «السلطنة» في الآستانة لجورج شلهوب عام 1857م، ثم «حديقة الأخبار» في بيروت عام 1858م لخليل خوري، وظلت تصدر بعد وفاته حتى عام 1909م. وقد ازدهرت الصحافة العربية بظهور «الجوائب» للشدياق في اصطنبول عام 1860م واستمرت حتى عام 1884م. وفي عام 1861 صدرت في تونس صحيفة «الرائد التونسي» وهي جريدة رسمية،ثم أنشأ المعلم بطرس البستاني «نفير سورية»، وابنه سليم «الجنة» ثم «الجنينة» عام 1871م. وفي عام 1866م أنشأ عبد الله أبو السعود في القاهرة الصحيفة السياسية «وادي النيل». وفي بغداد أنشئت «الزّوراء» عام 1868م، ثم ظهرت عام 1870م في بيروت صحيفة «البشير» على أيدي الآباء اليسوعيين.

وقد ساعدت هجرة بعض السوريين إلى مصر على ازدهار الصحافة فظهرت بعض الجرائد منها «الكوكب الشرقي» لسليم حموي عام 1873م، وجريدة الأهرام للأخوين سليم وبشارة تقلا عام 1876م في الاسكندرية، ثم نقلت إلى القاهرة ولاتزال تصدر حتى اليوم، ثم «الوطن» لميخائيل عبد المسيح عام 1877م، وفي السنة نفسها صدرت «لسان الحال» في سوريا لخليل السكاكيني، وفي عام 1880م صدرت «المصباح» لنقولا نقاش ثم عُطلت عام 1908م، و«المحروسة» لأديب إسحق وسليم النقاش، وفي عام 1885 صدرت جريدة «الموصل» في العراق، وفي هذه السنة نفسها أصدرت جمعية الفنون الإسلامية في بيروت «ثمرات الفنون» برئاسةالحاج سعد الدين حمادة، وإدارة صاحب امتيازها عبد القادر القباني، وظلت تصدر حتى 1908م، ثم «المقطم» عام 1888م لفارس نمر ويعقوب صروف وفي هذه السنة صدرت كذلك «المؤيد» لعلي يوسف وأحمد ماضي، ثم «اللواء» عام 1900 لمصطفى كامل، ثم توالت الجرائد بعد ذلك في شتى البلاد العربية.

أما في المهاجر الأمريكية فأول جريدتين عربيتين ظهرتا هناك هما «كوكب أمريكا» لنجيب عربيلي وأخيه عام 1888م في نيويورك، ثم «الفيحاء» لسليم ودعيبس بالش عام 1894م في سان باولو - البرازيل - وتوالت بعدهما جرائد كثيرة منها في أمريكة الشمالية «مرآة الغرب - المهاجر - الدليل السائح» ومنها في أمريكا الجنوبية «الميزان - الأصمعي - الزمان - الشرق - الإصلاح» وغيرها.

أما المجلات فأقدمها «اليعسوب» التي أصدرها محمد علي الحكيم وإبراهيم الدسوقي، في القاهرة عام 1865م، وهي أو مجلة طبية، ثم «الجنان» لبطرس البستاني في بيروت 1870م، وهي علمية أدبية سياسية كانت تصدر في الشهر مرتين وفي السنة نفسها صدرت «النحلة» للويس الصابونجي في بيروت، وهي أدبية علمية انتقادية، ثم «روضة المدارس» في القاهرة أنشأها نخبة من العلماء والأدباء منهم عبد الله فكري وإسماعيل الفلكي وبدر الحكيم بإيحاء من علي مبارك وبإشراف الطهطاوي، وهي مجلة علمية تاريخية طبية، ثم أصدر يعقوب صروف وفارس نمر «المقتطف» في بيروت 1876م ثم نقلت إلى القاهرة عام 1886م. وهناك مجلات أخرى كثيرة أشهرها في مصر «الهلال» لجرجي زيدان وقد أنشئت عام 1892م، وطبع في مؤسستها كتب كثيرة تاريخية وأدبية أشهرها روايات مؤسسها عن تاريخ الإسلام، وتلتها «التنكيت والتبكيت» و«الأستاذ» عام 1892م وكلتاهما لعبد الله النديم وتوالى بعد ذاك ظهور

مجلات كثيرة كمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق عام 1921م، ثم «الأديب والكاتب والثقافة والآداب» وغيرها، وبعضها خاص بالمرأة مثل «العروس» لماري عجمي وقد ظهرت عام 1910م، و«المرأة» لنديمة المنقاري في سورية عام 1934م وغيرها كثير.

وفي المهجرين الشمالي والجنوبي صدرت مجلات كثيرة أشهرها في نيويورك «الفنون» لنسيب عريضة عام 1913م و«السمير» لإيليا أبو ماضي عام 1929م. وفي سان باولو - البرازيل - صدرت عام 1930م «الأندلس الجديدة» لشكر الله الجر، ثم «العصبة» لجمعية العصبة الأندلسية عام 1935م.
ومن الملاحظ أن الصحف العربية كانت في أوائلها ركيكة العبارة، يطغى على أسلوبها المحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق، ثم لان أسلوبها، وابتعد كتّابها عن الزخرف والحشو، وتوخوا تأدية المعاني بدقة وبساطة ووضوح فأضحت لغتهم وسطاً بين الفصحى والعامية.

- **المدارس والجامعات**

بطرس البستاني، مؤسس أولى المدارس الوطنية الخاصة في لبنان.

سبق تأسيس المدارس والجامعات في مصر وبلاد الشام نظيره في الأقطار العربية الأخرى، وكان التعليم في مصر قبل محمد علي باشا مقصوراً على الكتاتيب وعلى الجامع الأزهر الذي أصبح في عام 1936 جامعة تضم كليتي «الشريعة وأصول الدين» و«اللغة العربية». وبعد عام 1961 أضيفت إليه كليات العلوم الحديثة المتنوعة. ومن الأزهر اختيرت أولى البعثات إلى فرنسة أيام محمد علي، وفي عهده أنشئت المدرسة الحربية ومدرسة الطب. وفي عهد الخديوي إسماعيل أنشئت مدارس الحقوق والمعلمين والعلوم والفنون والصناعات ودار العلوم العالية. وهكذا تدرج التعليم من الابتدائي إلى الثانوي، ولاسيما بعد عودة رجال البعثة الأولى من فرنسا، ثم عني المسؤولون بالتعليم العالي فأنشئت «الجامعة المصرية» في القاهرة عام 1908، وتوالى بعد ذلك إنشاء الجامعات الأخرى في القاهرة والإسكندرية وأسيوط وغيرها.

أما في بلاد الشام فكانت مدارس البعثات الدينية أسبق من غيرها، ثم كثرت المدارس وتنوعت بين أهلية وأجنبية، فكان منها في لبنان مدرسة «عينطورة» التي أسسها الآباء العازاريون سنة 1834، ومدرسة «عبيّة» العالية التي أسست عام 1847، وأدارها المستعرب الأمريكي كرنيليوس ڤان دايك Cornelius Van Dyk ومدرسة «غزير» التي أنشأها اليسوعيون في العام ذاته. وفي عام 1860 أنشئت «المدرسة الإنكليزية» وهي أول مدرسة للبنات، ثم الكلية الإنجيلية الأمريكية للبنات عام 1861. وتوالت بعد ذلك مدارس البنات للراهبات العازاريات وراهبات المحبة و«زهرة الإحسان» للروم الأرثوذوكس... وسواها.

أما أولى المدارس الوطنية الخاصة فقد أنشأها المعلم بطرس البستاني عام 1863 تحت اسم «المدرسة الوطنية» كما أنشأ المطران يوسف الدبس «مدرسة الحكمة» عام 1865.

وفي عام 1866 أنشأت الإرسالية الأمريكية في بيروت كلية تخرج فيها طائفة من العلماء والمتعلمين ثم أصبحت هي ذاتها «الجامعة الأمريكية» الحالية. وكانت تدرس أولاً باللغة العربية ثم عدلت عنها إلى الإنكليزية.

وفي عام 1874 نقل اليسوعيون مدرستهم من غزير إلى بيروت وأصبحت «الكلية اليسوعية» وكانت هي أيضاً تدرس بالعربية ثم عدلت عنها إلى الفرنسية.

وفي سوريا كان التعليم أول الأمر دينياً يتم في الزوايا والمساجد، وكان الجامع الأموي أكبر المدارس الإسلامية وأقدمها. ومنذ أواخر القرن التاسع عشر أخذت المدارس الابتدائية تنتشر في دمشق وحمص وحماه وحلب وسواها. ثم أنشئت في عام 1901 مدرسة للحقوق أضحت فيما بعد «كلية الحقوق»، وأنشئ «المعهد الطبي العربي» فكان منهما نواة الجامعة السورية بعد الحرب العالمية الأولى (جامعة دمشق اليوم).

- **الجمعيات الأدبية**

أسست في العصر الحديث جمعيات كثيرة كان لها دور بارز في إذكاء روح النهضة. ومن هذه الجمعيات ما هو أدبي، وما هو علمي، وما هو سياسي. والمعول عليه هنا الأدبية، وإن أسهمت الجمعيات الأخرى إسهاماً غير مباشر في النهضة الأدبية.

وسبقت بلاد الشام مصر وغيرها في هذا المضمار، إذ تأسست «الجمعية السورية» في بيروت عام 1847 على يد الإرساليين الأمريكيين، وكان هدفها نشر العلوم وترقية الآداب والفنون.وقد أربى أعضاؤها على الخمسين منهم بطرس البستاني وناصيف اليازجي، وقد زودت هذه الجمعية بمكتبة. ثم تأسست الجمعية العلمية السورية في بيروت وبلغ عدد أعضائها مئة وخمسين من مختلف مدن الشام إضافة إلى بعض المصريين، وظلت هذه الجمعية تعمل حتى عام 1868. ثم أنشئت في بيروت جمعية زهرة الآداب عام 1873 وكان من أعضائها نفر من الأعلام بينهم: سليمان البستاني، وأديب إسحاق، ويعقوب صروف، وفارس نمر، وابراهيم اليازجي. وكان هدفها التمرس بالخطابة والبحث وكتابة الروايات والمسرحيات التي كان يمثلها الأعضاء أنفسهم. وقد توقفت في عهد السلطان عبد الحميد. ويضاف إلى هذه الجمعيات أندية وجميعات أخرى تأسست في أشهر حواضر بلاد الشام. أما في الآستانة - عاصمة السلطنة - فقد تأسس «المنتدى الأدبي» الذي اتخذ أعضاؤه من النشاط الأدبي واجهة للعمل السياسي القومي العربي.

وأشهر الجمعيات في مصر «جمعية المعارف» أنشأها محمد عارف عام 1868 لنشر الثقافة وإحياء التراث. وقد نشرت كثيراً من كتب التاريخ والفقه والأدب وبلغ عدد أعضائها ستين وستمئة منهم: إبراهيم المويلحي وأحمد فارس الشدياق ومحمد شافعي ومصطفى رياض باشا وسواهم. وتلتها جمعيات ومنتديات كثيرة، منها «جمعية مصر الفتاة». وكان من أعضائها جمال الدين الأفغاني وأديب إسحاق وعبد الله النديم، وكان لتعلم المرأة أثر في ظهور بعض الجمعيات والنوادي النسائية التي عنيت بقضايا المرأة إضافة إلى اشتغالها بالنشاط الأدبي المرتبط بتلك القضايا.

- **المكتبات**

من المكتبات المهمة ما هو عام وما هو خاص. وأشهر هذه المكتبات وأقدمها «دار الكتب الخديوية» التي أنشأها علي مبارك في القاهرة عام 1870، ثم «المكتبة الظاهرية» التي تأسست في دمشق عام 1878 أيام حكم الوالي مدحت باشا وأشرف على جمع كتبها ومخطوطاتها النفيسة الشيخ طاهر الجزائري، ثم

«المكتبة الأزهرية» التابعة للجامع الأزهر في القاهرة، وقد تأسست عام 1879 بعد أن ازدادت ثروة الجامع الأزهر من الكتب.

ومن أشهر المكتبات الخاصة «الخزانة التيمورية» لأحمد تيمور، و«الخزانة الزكية» لأحمد زكي. وتمتاز هذه الأخيرة من سواها باحتوائها الكتب الأجنبية التي ألفها المستشرقون بالفرنسية والإنليزية والألمانية وغيرها من اللغات. وأخيراً هناك «المكتبة الآصفية» لمحمد آصف ابن أخت أحمد تيمور.

وفي بيروت تأسست «المكتبة الشرقية» للآباء اليسوعيين، ومكتبة «الجامعة الأمريكية». وفي العراق مكتبات «الكاظمية» و«كربلاء» و«النجف» و«الحلة» و«الساوة» و«بغداد». وفي المدينة المنورة مكتبة «عارف حكمت». وفي تونس «المكتبة الصادقية» وفي الجزائر «مكتبة الجزائر الأهلية» وفي الرباط «الخزانة العامة». وفي عام 1978 أنشئت مكتبة الأسد الوطنية في دمشق لتصبح أحدث وأهم مكتبة في الوطن العربي بما تحويه من نفائس الكتب، وما تستخدمه من تقنيات حديثة في الأرشفة والحفظ والإعارة، كما تهتم بجمع كل مايصدر من النتاج الأدبي والفكري العربي وما يتعلق بالثقافة العربية على وجه الإجمال.

المسرح والتمثيل

تعد المسارح والتمثيل من العوامل المهمة المساعدة في تنشيط الأدب ونهضته. وقد عرف العرب منذ قرون كثيرة فن خيال الظل. لكن الباحثين يجمعون على أن المسرح العربي بمعناه الفني قد ولد في لبنان في منتصف القرن التاسع عشر حين نقل مارون النقاش مسرحية «البخيل» لموليير إلى العربية ومثلها في بيته عام 1848 بعد أن كان قد اطلع على المسرح والتمثيل في أوربة. ثم أخذ بعدها بتأليف المسرحيات وتمثيلها، وقد جمعت مسرحياته في كتاب «أرزة لبنان»، وكانت لغته فيها أقرب إلى العامية.

أما في سوريا فقد تأثر أحمد أبو خليل القباني بمارون النقاش فألف ومثل أكثر من ستين مسرحية استوحاها من التاريخ العربي الإسلامي وقصص ألف ليلة وليلة، وأدخل فيها الشعر والموسيقى ولاسيما الموشح ورقص السماح. ومن تلك المسرحيات «هارون الرشيد» و«أنيس الجليس» و«ناكر الجميل» و«مجنون ليلى» و«الأمير علي». وانتقل إلى مصر ومعه جَوقة من الممثلين والمنشدين، فلقي ترحيباً هناك وعلت شهرته وكثر الآخذون عنه. واقتبس قصصاً عن الأدب الغربي.. وكان أسلوبه في أعماله مسجعاً وأقرب إلى الفصحى.

وألف سليمان النقاش - ابن أخي مارون - فرقة تمثيلية هو الآخر وانتقل بها إلى الاسكندرية عام 1876 وترجم أوبرا عايدة واقتبس من بعض مسرحيات كورني وراسين، واشترك مع أديب إسحاق في تأليف المسرحيات التي شاركهما يوسف الخياط في تمثيل بعضها. ثم انتقل الخياط إلى القاهرة فمثل على مسرح دار الأوبرا مسرحية «الظلوم» التي حضرها الخديوي إسماعيل فأغضبته ظناً منه أن صاحبها يعرض به، فأمر بإخراجه من مصر.

وكان المسرح قد بدأ في مصر عام 1869 على يدي يعقوب صنوع المعروف بأبي نظارة. وقد مثل اثنتين وثلاثين مسرحية من اقتباسه أو تأليفه عالج فيها بعض المشكلات الاجتماعية بأسلوب انتقادي تقرب لغته من العامية، منها تمثيلية «الوطن والحرية» التي أثارت غضب الخديوي إسماعيل فأمر بإغلاق مسرحه

عام 1871، وألفت فرقة سليمان قرداحي ومعه سلامة حجازي عام 1882. وقد عمل حجازي مع أبي خليل القباني عند انتقاله إلى القاهرة عام 1884 كما عمل مع اسكندر فرح. وعلى أيدي هؤلاء ازدهر التمثيل الذي يجمع بين الجد والهزل والشعر والغناء وظل مسرحهم يعمل حتى عام 1900.

ثم ألف جورج أبيض فرقته بعد أن عاد متخصصاً بهذا الفن من باريس عام 1910 فمثل مسرحية فرح أنطون «مصر الجديدة ومصر القديمة» التي كانت نقلة واسعة للمسرح باتجاه «المسرح الاجتماعي». وقد اتسم مسرح جورج أبيض بالجدية المأسوية واستمر حتى الحرب العالمية الأولى. وتابع المسرح في مصر تقدمه على يد يوسف وهبي الذي افتتح عام 1923 «مسرح رمسيس» ومثلت فرقته ما يقارب مئتي مسرحية كان بعضها مترجماً وبعضها الآخر من تأليفه أو تأليف غيره.

ومن الملاحظ أن التمثيليات العربية آنذاك - معربة أو مؤلفة - كانت إما مأساة Tragédie وإما ملهاة Comédie، أما التمثيليات الهزلية الضاحكة Farce فقد عرفت تقدماً واضحاً مع نجيب الريحاني الذي تقمص شخصية «كشكش بك عمدة كفر البلاص» الذي يهرب من زوجه ويركض وراء النساء. وقد تعاون الريحاني مع بديع خيري في تأليف مسرحيات هزلية شعبية، أو ترجمتها، كما تعاون معه في تمثيلها وإخراجها. وقد أربت تلك المسريحات على أربعين وكانت ذات طابع تهكمي ساخر.

وأنشأ علي الكسار المعروف باسم «بربري مصر» مسرحاً هزلياً إلى جانب مسرح الريحاني، وانضم إلى فرقته الممثل إسماعيل ياسين الذي استمر بعد أن أخفق الكسار وأغلق مسرحه. وجاء بعده ممثلون هزليون آخرون، لكن عددهم ظل - ولايزال - أقل بكثير من أعداد الممثلين الجادِّين.

أما المسرح الغنائي فقد بدأه الشيخ سلامة حجازي، وجاء بعده سيد درويش فطور هذا المسرح ولحن له وشارك في تمثيليات عدة منها «فيروز شاه» و«العشرة الطيبة» و«شهرزاد» و«الباروكة». ثم توقف المسرح الغنائي مدة طويلة حتى ظهرت في بيروت «الفرقة الشعبية اللبنانية» التي أسسها وألف لها عاصي ومنصور الرحباني مشتركين مع عدد من كبار الفنانين ومؤلفي الزجل وعلى رأسهم فيلمون وهبي. وقد قدمت الفرقة مغنيات مسرحيات غنائية كثيرة أشهرها ما أخذت أدوار البطولة فيه المطربة الكبيرة فيروز (نهاد حداد) مثل: مسرحية «الشخص» و«فخر الدين» و«المحطة» و«بياع الخواتم». وهذه المسرحيات الغنائية - مع أنها تستخدم العامية لغة لها - ترقى إلى مصاف أرقى ما أنتجه المسرح العربي من حيث المشكلات المطروحة فيها وأساليب المعالجة وجمال الأداء وتفوق الموسيقى. ويمكن عدّ مسرح الرحابنة امتداداً متطوراً لمسرح سيد درويش.

- النثر الفني

بعد الذي تقدم ذكره، يمكن القول: إن القرن التاسع عشر لم يكن إلا مرحلة الإرهاص بالتطورات الحقيقية الكبيرة التي سيشهدها الأدب العربي في القرن العشرين، ولم يتجاوز ما تم إنجازه فيه حدود «تمهيد الأرض» لزروع التجديد التي ستؤتي أكلها ناضجة - أو شبه ناضجة - في القرن العشرين لسائر أنواع الأدب أو أجناسه حسبما هو معروف في الآداب العالمية.

ومن حيث الأسلوب كان النثر في القرن التاسع عشر مثقلاً بالمحسنات البديعية وبالسجع، بل إن محاولات لإحياء فن المقامة قد جرت على يد الشيخ ناصيف اليازجي. ومن جهة المضمون كان النثر يعنى بالقضايا

الاجتماعية والسياسية ولكن بطرائق الوعظ الأخلاقي وبالنقد التهكمي الساخر الذي يتناول المظاهر أكثر مما يتناول الجواهر، ويرى الباحث في أدب العرب في القرن العشرين أن ذلك كله قد تم تجاوزه.
فالاتصال بالغرب حرض على إدخال التطوير على الأنواع الأدبية القديمة، كما حرض على ظهور فنون نثرية جديدة بقوالب تعبيرية جديدة.

- **المقال**

من المعلوم أن المقالة نشأت في أحضان الصحافة. ولعل أول من استعمل مصطلح «مقالة» هو أحمد فارس الشدياق حين كتب في مجلة الجوائب «مقالة في أصل النيل». وكانت الصحف عند نشأتها تعنى بالمقالة الافتتاحية وتنشرها في صدر صفحتها الأولى، وتعالج فيها موضوعاً رئيسياً، غالباً ما يكون سياسياً. ووسع ظهور المجلات من ميادين المقالة وأثر في تطورها وتنوع موضوعاتها التي تمس الحياة العامة، وصارت مقالات معظم الكتاب تجمع في كتب لحفظها من الضياع وتيسير سبل الاطلاع عليها من قبل الأجيال اللاحقة.

وقد درج النقاد على تقسيم المقالة بحسب مضامينها إلى عدة أنواع: سياسية واجتماعية وأدبية، ثم توسعت هذه المضامين تبعاً لاتساع فروع المعرفة فأضيفت إليها المقالات: الفكرية والفلسفية والإنسانية والنفسية والدينية والنقدية.

ومن جهة أخرى قسمت المقالات إلى نوعين: المقالة الذاتية، والمقالة الموضوعية.

فالمقالة الذاتية يعالج فيها الكاتب موضوعاً محدداً يعكس انطباعه عنه، إذ تتحكم في الكتابة هنا عواطف الكاتب وانفعالاته الذاتية ويغلب تصوير وجهة نظره الشخصية بأسلوب عفوي. ومن الطبيعي أن تتفاوت المقالات هنا بتفاوت موضوعاتها، واختلاف شخصية كل كاتب، من حيث وضوح الأداء وعمقه وجماله.

أما المقالة الموضوعية فتختلف في أن الكاتب يعالج فيها موضوعاً يرجع فيه إلى المنطق والعقل ومنهجية الأداء، فيكون للمقالة مقدمة ثم عرض فمناقشة فاستنتاجات ثم خاتمة. ويدور الموضوع حول قضية علمية أو فلسفية أو اجتماعية أو سياسية أو نقدية.

ومن أبرز من كتب المقالة الذاتية بعواطف رقيقة، وسعة خيال، وتصوير فني شفيف، وجمل موسيقية قصيرة، مصطفى لطفي المنفلوطي في كتابيه النظرات والعبرات، وجبران خليل جبران في كتبه [[دمعة وابتسامة (كتاب)|دمعة وابتسامة]] والعواصف والبدائع والطرائف ومي زيادة في «سوانح فتاة» و«ظلمات وأشعة». وقد بدأ هذا اللون من المقالة الذاتية يتناقص بعد الخمسينات من القرن العشرين، وإن كان هذا لا ينفي وجود كتّاب له في كثير من أقطار الوطن العربي.

وفي لون آخر من المقالة الذاتية اعتمد كثير من الكتاب أسلوباً فكاهياً يقوم على التصوير الساخر الذي يداخله القص وتميزه حيوية الأداء، وأبرز من كتب المقالة من هذا اللون في القرن التاسع عشر هو أحمد فارس الشدياق في كتابيه «الساق على الساق في ما هو الفارياق» و«كشف المخبا عن فنون أوربة». أما في القرن العشرين فأبرز هؤلاء الكتاب هو إبراهيم عبد القادر المازني في كتبه «قبض الريح» و«من النافذة» و«حصاد الهشيم»، ومع أن هذا الكتاب الأخير هو مجموع مقالات نقدية إلا أن السخرية التهكمية

في نبرته واضحة كما أن ذاتية الكاتب هي إحدى سماته البارزة. وهذا مؤشر على التداخل ما بين نمطي المقالة: الذاتي والموضوعي.

وثمة لون ثالث يتميز بعمق الأفكار والتأنق في الألفاظ والتصوير البياني، والخيال الشاعري وأبرز كتابه في القرن العشرين مصطفى صادق الرافعي في «وحي القلم» وفي «حديث القمر» إذ يجد القارئ هنا بعض الغموض والتعقيد في الصور وأسلوب الأداء.

ومع ازدهار الصحافة العربية وارتقاء التعليم وتطور الأدب في القرن العشرين تزايد كثيراً عدد الأدباء الذين يكتبون المقالة الذاتية التي تلامس قضايا موضوعية ومشكلات اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو معاشية.. حتى لا يكاد المرء يجد أديباً عربياً في سائر البلاد العربية لم يمارس كتابة هذا اللون من المقالات في صحيفة أو مجلة ما، وهو أمر يطول حصره واستقصاؤه.

ومن مشاهير كتاب المقالة الموضوعية - وهي لا تخلو بطبيعتها من ملامح ذاتية - أحمد أمين في كتابه «فيض الخاطر»، وطه حسين في كثير من كتبه منها حديث الأربعاء وتجديد ذكرى أبي العلاء ومحمد كرد علي، ومحمد حسين هيكل، وميخائيل نعيمة في «البيادر» و«النور والديجور» و«الغربال»، وعباس محمود العقاد، والمازني في كتاب «الديوان»... وغيرهم كثير.

ومع التطورات المعقدة في الحياة والأدب العربيين بعد الخمسينات على وجه التخصيص كثر عدد كتاب المقالة الموضوعية إذ تقوم حياة الصحف والمجلات بأنواعها عموماً على هذا اللون من المقالة التي يشارك في كتابتها الصحفيون والأدباء على حد سواء. وقد نشطت المحاضرات وبرامج الإذاعات والتلفزة المعنية بالأدب، وهذه كلها في الأصل مقالات مطورة لتلائم هذه الصيغة أو تلك من وسائل إيصال الأدب إلى الجمهور. وربما أمكن أيضاً إدخال الندوات في هذا الباب.

ولايزال الكتاب المعاصرون يجمعون مقالاتهم في كتب جرياً على ما كان قد سبقهم إليه جيل الرواد في القرنين التاسع عشر والعشرين ممن سبق ذكر أسماء مشاهيرهم. وإذا كان المقام هنا لا يتسع لذكر الأعداد الجمة من الأدباء الذين يكتبون المقالة الموضوعية اليوم في مختلف البلاد العربية إذ توجد مئات من الأسماء، فإنه مما يجدر ذكره أن المقالات قد يطول بعضها وتتسع أفكاره ولاسيما في المجلات المتخصصة فتصبح المقالة أقرب إلى البحث الأدبي القصير الذي يتضمن أجزاء كثيرة، كل جزء منها يعالج جانباً من ذلك البحث أو فكرة من أفكاره.

- الخطابة

اتسع مجال الخطابة في العصر الحديث وتنوعت موضوعاتها أو أساليبها إثر قيام الحركات الوطنية وتأسيس الجمعيات والنوادي الأدبية والمنابر الأخرى. وممن برزوا في هذا المجال في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عبد الله النديم وأديب إسحاق ومصطفى كامل وأمين الريحاني ومي زيادة. ثم ازداد انتشارها في المناسبات القومية والحزبية والسياسية، والمؤتمرات المحلية والدولية. وقد أعان على انتشارها المذياع والتلفاز.

وفضلاً عن الخطب الدينية في الجمع والأعياد، هناك من أشكال الخطبة: المحاضرة التي سبق ذكر أنها تقارب المقالة، فهي في واقع الأمر تجمع بين شكلي هذين الفنين من فنون النثر. وهناك خطب المناسبات المختلفة والأحاديث الإذاعية والمتلفزة، كما أن للندوات مدخلاً في هذا الباب.

والخطابة بمدلولها الأصلي أصبحت في هذه الأيام مقصورة على السياسة إذ يوجه السياسيون خطبهم إلى الشعب في كل قطر في مناسبات معينة ويتم نقلها للناس الذين لم يحضروا وقائع المناسبة عبر الأجهزة المسموعة والمرئية. ويكاد الجانب الأدبي يختفي من هذه الخطب إذ ينصب هم الخطيب الذي غالباً ما يكون رجل دولة على شرح الأوضاع السياسية المحلية والعربية والدولية للناس في المجتمع المحلي وفي مختلف الأقطار العربية الأخرى.

المراجع

- ✓ ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب محمد بالنيس.
- ✓ دراسات في الأدب الجزائري الحديث أبو قاسم سعد الله.

الدفعة ثانية ماستر آدب حديث ومعاصر

السداسي الأول

قسم اللغة والأدب العربي جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

المحاضرة: 02 **مقياس :** النثر المغاربي للحديث المعاصر

الدكتور : العلمي مسعودي **السنة الدراسية :** 2022/2021

تابع لعوامل النهضة الأدبية في العصر الحديث

- **القصة والرواية**

عرفت القصة على نحو ما في الأدب العربي القديم على غرار ما عرفته مختلف الشعوب من حكاية وخرافة وأسطورة. وفي القرآن الكريم قصص كثيرة عن الأنبياء والمرسلين والأقوام البائدة. وأولى بوادر القص النثري الفني كانت في ما نقله إلى العربية وأضافه ابن المقفع (ت142هـ) في كتاب كليلة ودمنة ثم جاء الجاحظ (ت255هـ) فألف كتاب «البخلاء» في شكل نوادر فكهة عن البخل وأصحابه من أهل مرو خصوصاً.

وابتكر بديع الزمان الهمذاني (ت398هـ) شكلاً من أشكال القصة القصيرة سماه المقامات، وبطل مجموعة المقامات واحد، ثم تابعه الحريري (516هـ) وآخرون لم يحظوا بشهرة الهمذاني والحريري.

وتكاد السيرة الشعبية أن تكون خليطاً من الروايات والملاحم التي تداخلها الخرافة كما يداخلها الشعر الذي يفتقر إلى الفنية الجيدة.

على أن أهم كتاب عربي قديم في هذا الباب هو ألف ليلة وليلة وهو مجموع من التراث ذي القص (الحكائي) للشعوب غير العربية ممن دخل منهم في الإسلام أو احتك المسلمون بهم كالهنود، وقد عرب هذا المجموع وأضيفت إليه حكايا جديدة حتى صار نسيجه العام عربياً إسلامياً خالصاً. وترك هذا الكتاب أثراً قوياً في الآداب الأوربية حتى إن رجلاً كفولتير يصرح بأنه لم يكتب القصة إلا بعد أن قرأ «ألف ليلة وليلة» أربع عشرة مرة.

على أن القصة بمفهومها الفني الحديث إنما ظهرت في الأدب العربي في القرن التاسع عشر، وبعد الاطلاع على الآداب الغربية.

وقد ابتدأ الكتاب العرب بترجمة القصص القصيرة عن تلك الآداب ونشرها في المجلات كالجنان والضياء والمقتطف والهلال، وكان المترجمون يتصرفون بالقصة لتتلاءم مع العقلية العربية. وهذا أيضاً ما فعله المنفلوطي في ترجمته لرواية «ماجدولين» للكاتب الفرنسي ألفونس كار A. Karr، وحافظ ابراهيم في البؤساء لڤكتور هوگو V. Hugo. وقد قام نفر من الكتاب في مصر وبلاد الشام بتأليف الرواية في القرن التاسع عشر إلى مطالع القرن العشرين مثل ناصيف اليازجي وسليم البستاني وفرح أنطون وجرجي زيدان ومحمد المويلحي. وإذا أفردنا من هؤلاء جرجي زيدان الذي كتب مجموعة كبيرة من الروايات عن

تاريخ الإسلام فإن محاولات الآخرين كانت غير مكتملة فنياً وتميل إلى الوعظ والتعليم الأخلاقي كما تأثرت بأساليب الحكاية والمحسنات البديعية في المقامات. ويجمع مؤرخو الأدب العربي على أن أولى الروايات المكتملة فنياً كتبها محمد حسين هيكل تحت عنوان «زينب» وكان ذلك نحو عام 1920.

وإذا كان الغربيون يقسمون فن القص عندهم إلى الأقصوصة le conte والقصة la nouvelle والرواية le roman فإن فن القص العربي الحديث يمكن تقسيمه إلى «قصة قصيرة» و«رواية». تعتمد القصة القصيرة على التقاط الكاتب للحظة من الحياة يعنى فيها بتحليل الحدث أو الشخصية أو البيئة أو مجموع هذه العناصر معاً ليصل إلى هدف دلالي أعلى، ويكون أسلوبه في ذلك على نحو مركز ودقيق. أما الرواية - وهي هنا تضم القصة الطويلة إليها - فتهتم بإقامة بنيان فني واسع تشغل حيزاً واسعاً من الزمان والمكان وتدور حول شخصية واحدة أو شخصيات كثيرة وتتشابك فيها الأحداث والعلاقات بعضها ببعض من جهة، وبعضها أو كلها مع معطيات الزمان والمكان أي البيئة الفنية من جهة أخرى. والكاتب هنا يتعمق في تحليل ما يدور في نفوس أبطال روايته وفي ربط الأحداث بتواريخ أو توقعات مستقبلية بوساطة تقنيات تختلف باختلاف كل كاتب عن الآخر وكل رواية عن الأخرى، ولهدف تقديم روايات متراكبة المستويات للبشر والحياة والعالم عبر سياق تخييلي ينطوي على جملة من الإيحاءات الدلالية.

ويمكن القول إنه منذ عشرينات القرن العشرين بدأ الازدهار في القصة والرواية العربيتين.

ففي مصر اشتهر من كتاب القصة القصيرة الأخوان محمود ومحمد تيمور، ويحيى حقي، ثم أمين يوسف غراب، ويوسف الشاروني، وكثير غيرهم، على أن أكثر كتاب القصة القصيرة شهرة في مصر - وربما في مختلف البلدان العربية - هو يوسف إدريس.

ومن سورية برز عبد السلام العجيلي وزكريا تامر وخليل الهنداوي وجورج سالم وحيدر حيدر ووليد إخلاصي وغادة السمان وغيرهم كثير ممن كتبوا في السبعينات وما بعدها من هذا القرن. وتشهد القصة اليوم في سورية ومصر ازدهاراً ملحوظاً كما تشهد مثل ذلك الازدهار في كثير من الأقطار العربية.

ومن لبنان اشتهر كتاب القصة القصيرة توفيق يوسف عواد الذي يعدّ رائداً لهذا الفن في كل بلاد الشام كما كتب القصة سهيل إدريس وزوجه عائدة مطرجي إدريس وكتبها كذلك كرم ملحم كرم ومارون عبود وسواهم.

وفي الأردن كان أول من كتب القصة القصيرة محمد صبحي أبو غنيمة في مجموعته «أغاني الليل» وهي مجموعة قصص اجتماعية ذات طابع وعظي أخلاقي تضم أيضاً خواطر متقدمة عن فن الأدب قياساً إلى ما كان قد تم إنجازه أدبياً في الإمارة الأردنية آنذاك. ويعد عيسى الناعوري أكثر كتاب القصة شهرة في الأردن. على أنه قد سبقته أسماء معروفة في كتابة هذا الفن أبرزهم سيف الدين الإيراني وأمين فارس ملحس ومحمد أديب العاصري. كما أن أسماء جديدة مهمة قد جاءت بعده ومن أهم هؤلاء فخري قعوار ومحمود الريماوي وبدر عبد الحق.

وظهرت القصة الحديثة في ليبيا على يد خالد زغبية في مجموعته «السور الكبير» عام 1964 وهناك أسماء أخرى مثل كامل حسن المقهور ومصطفى المصراني وزعيمة البارودي.

وفي تونس أسماء غير قليلة في إطار حركة ثقافية ناشطة. ومن هذه الأسماء التي تكتب القصة القصيرة الميداني بن صلاح وحسن نصر ومحمد صالح الجابري وسمير العيادي وغيرهم.

أما الجزائر فقد ازدهر فيها ما سمي أدب المعركة قبل الاستقلال. وكانت مجموعة مالك حداد «البؤس في خطر» 1956 هي أولى المجموعات القصصية المعبرة عن ذلك الأدب. وهناك أسماء أخرى في تلك المرحلة كتبت القصة القصيرة مثل مفدي زكريا وجان سيناك وحسين بوزاهر وجمال عمراني. وبعد الاستقلال شهد فن القصة القصيرة ازدهاراً واسعاً وبرزت أسماء كثيرة مثل رضا حوحو وعبد المجيد شافعي وأحمد عاشور وزهرة وينسي. وهؤلاء كتبوا بالعربية خلافاً لسابقيهم ممن كتبوا بالفرنسية قصص مرحلة «أدب المعركة» وثمة أسماء جديدة كثيرة تشير إلى الاهتمام الواسع للأجيال الجديدة من كتّاب الجزائر بفن القصة القصيرة.

وفي المغرب، كما في الجزائر وتونس، كتب الأدباء القصة القصيرة بالفرنسية أولاً ثم بالعربية.

ويرى بعض الباحثين أن هذا النوع من الأدب يتبع الأمة التي كتب بلغتها بصرف النظر عن الجنس.

وشهدت القصة في السودان ولادتها على يد عثمان النور، وقدم جمال عبد المالك مجموعته «الحصان الأسود» ويوسف العطا مجموعته «نزرع النخيل». وكتب الروائي السوداني المعروف الطيب صالح عدداً من القصص القصيرة جداً ثم توقف عن ذلك.

وفي شبه الجزيرة العربية بدأ فن القصة الناضج على يدي أحمد السباعي (1905-1983). وفي الربع الأخير من القرن العشرين شهدت كتابة القصة ازدهاراً جيداً ففي اليمن مهد محمد عبد المولى (1940-1973) للقصة الواقعية، ويصور زيد مطيع دماج (1943-...) الزمان والمكان اليمنيين قبل الثورة وبعدها. أما القاص الكويتي إسماعيل فهد إسماعيل فيعتمد تكنيك القصة الحداثية ليصور وحدة الإنسان وسط عالم معاد أو لا مبال. مستخدماً تيار الوعي أساساً من لمحات وصفية سريعة أشبه بإشارات ضوئية. وبعد هؤلاء الرواد لفن القصة في شبه الجزيرة يأتي رعيل جديد يبرز من بينهم سليمان الشطي وليلى العثمان من الكويت، ومحمد عبد الملك، وأمين صالح من البحرين، ومحمد علوان وحسين علي حسين وسباعي عثمان من السعودية، وسعيد العولقي وميفع عبد الرحمن من اليمن، ومحمد المر من إمارة دبي وقد أصدر سبع مجموعات قصصية حتى اليوم بلغت أعداد قصصها زهاء المئة.

وفي العراق أسماء مهمة في هذا الفن مثل محمود السيد أحمد وعبد المجيد لطفي وأنور شاؤول وعبد الرحمن الربيعي. إضافة إلى أسماء كثيرة من الأجيال الجديدة.

وقد تناولت القصة في الوطن العربي مجموع المشكلات المحلية والشخصية والقومية بالمعالجة، وفق أساليب مختلفة، وبما ينسجم مع المعاناة التي يحسها الكاتب تبعاً لظروف هذا القطر أو ذاك، إذ تطرح المسائل والمشكلات الاجتماعية من منظوراتها المختلفة، وتعالج مطالب الحرية والديمقراطية، وقضايا تأثير الفواعل العالمية في الوضع الوطني الخاص والقومي العام وانعكاسات ذلك كله على شخصية الإنسان العربي من جوانبها المختلفة.

هذا في ما يخص القصة القصيرة. أما الرواية التي اكتملت فنياً على يد محمد حسين هيكل من مصر حسبما ذكر قبلاً فإن أكثر كتابها شهرة هو نجيب محفوظ. وقد كتبها في مصر أيضاً كل من توفيق الحكيم يوميات نائب في الأرياف وطه حسين دعاء الكروان والأيام، كما لمع من أسماء كتابها أيضاً كل من يوسف السباعي وإحسان عبد القدوس ومحمد عبد الحليم عبد الله وعبد الرحمن الشرقاوي. ثم جمال الغيطاني ومحمد يوسف القعيد وأحمد محمد عطية وإدوار الخراط وغيرهم.

في لبنان كتب جبران خليل جبران رواية «الأجنحة المتكسرة» كما كتب ميخائيل نعيمة عدداً من الروايات التي يغلب عليها الطابع الفلسفي، وهذان كتبا أعمالهما الروائية في المهجر الشمالي. ومن مشاهير كتاب الرواية في لبنان كرم ملحم كرم وتوفيق يوسف عواد الذي كان أبرع كتابها وخصوصاً في روايته طواحين بيروت وكتبها أيضاً سهيل إدريس، ومارون عبود فارس آغا كما كتب إلياس خوري الجبل الصغير وكتب إلياس الديري عودة الذئب إلى العرتوق.

وفي سوريا كان شكيب الجابري رائد كتابة الرواية المكتملة فنياً حين أصدر روايته «قوس قزح» في أربعينيات القرن العشرين ومن أبرز الروائيين في سورية حنا مينة الذي كتب عدداً كبيراً من الروايات من أهمها «الياطر» و«بقايا صور» و«المستنقع» و«الشراع والعاصفة»... وكتبت وداد سكاكيني «المانوليا في دمشق»، كما كتب فارس زرزور روايات كثيرة بعضها أقرب إلى التوثيقي مثل «حسن جبل» و«آن له أن ينصاع». ومن كتاب الرواية الذين برزت أسماؤهم في سورية: صدقي إسماعيل في «العصاة» وغيرها، وأديب نحوي في «عرس فلسطيني» و«تاج اللؤلؤ» و«آخر من شبه لهم»... ووليد إخلاصي في عدد غير قليل من الروايات مثل «باب الجمر» و«دار المتعة» و«ملحمة القتل الصغرى».. وألفة أدلبي وحيدر حيدر في «الزمن الموحش» و«وليمة لأعشاب البحر» وخيري الذهبي في «ملكوت البسطاء» و«ليال عربية» و«حسيبة» و«فياض»... وهاني الراهب في «ألف ليلة وليلتان» و«الوباء» و«بلد واحد هو العالم».. وأحمد يوسف داود في «الخيول» و«الأوباش» و«فردوس الجنون» ونادیا خوست في «حب في بلاد الشام»، ونبيل سليمان في «ثلج الصيف» و«جرماتي» و«مدارات الشرق»... وعبد الكريم ناصيف في «الحلقة المفرغة» و«تشريقة آل المر».. إضافة إلى أسماء كثيرة أخرى.

وفي العراق برزت أسماء مثل محمود السيد وأحمد عبد المجيد لطفي وعبد الرحمن الربيعي. واشتهر اسم فاضل العزاوي في «القلعة الخامسة» وسواها. ومن الأسماء الجديدة عادل عبد الجبار في «عرزال حمد السالم» وناجي التكريتي في «مزمار نوار» ...إضافة إلى أعداد من الكتاب الآخرين.

وأشهر كتاب الرواية في الأردن غالب هلسا الذي كتب «الخماسين» و«الضحك» و«سلطانة» وغيرها. وهناك أسماء جديدة معروفة مثل مؤنس الرزاز وسالم النحاس وجمال ناجي وسواهم. وأهم كتاب الرواية في فلسطين غسان كنفاني ومن أعماله «رجال تحت الشمس» و«عائد إلى حيفا».. ثم جبرا إبراهيم جبرا الذي كتب أعمالاً روائية عدة من أشهرها «صيادون في شارع ضيق» و«السفينة» و«البحث عن وليد مسعود»، ثم إميل حبيبي الذي كتب «الوقائع الغريبة في اختفاء أبي النحس المتشائل» و«لكع ابن لكع» وهي أهجية تجمع بين ملامح الرواية وملامح المسرحية .

ومؤخراً نضج فن الرواية في ليبيا على يد أحمد إبراهيم الفقيه الذي كتب ثلاثية نالت جائزة معرض الكتاب في بيروت عام 1992.

أما في أقطار المغرب العربي فإن كتابة الرواية قد أجبرت - شأنها شأن القصة القصيرة- على أن يكون بعضها بالفرنسية وبعضها الآخر بالعربية بحكم ما فرضه المستعمر الفرنسي من ثنائية اللغة على تلك الأقطار. وهناك رواية ما قبل الاستقلال في هذه الأقطار وهي عموماً تفتقر إلى هذا القدر أو ذاك من النضج الفني، ورواية ما بعد الاستقلال التي تزدهر وتبلغ حداً جيداً من ذلك النضج.

ففي المغرب كتب عبد المجيد بن جلون الرواية منذ الحرب العالمية الثانية، وكذلك فعل عبد الكريم غلاب. وطبيعي أن ابتداء الرواية آنذاك كان يعكس صور الصراع من أجل الحرية والاستقلال. وفي الستينات والسبعينات يكثر كتاب الرواية المكتملة فنياً، والتي تتناول هموم الناس وقضاياهم الاجتماعية والمعاشية ومشاكلهم الإنسانية المختلفة. ومن ذلك أعمال مثل «أمطار الرحمة» لعبد الرحمن المريني، و«غداً تتبدل الأرض» لفاطمة الراوي، و«دفنا الماضي» لعبد الكريم غلاب، و«الطيبون» لربيع مبارك، و«الغربة» لعبد الله العروي و«حاجز ثلج» لسعيد علوش، و«أرصفة وجدران» لمحمد زفزاف، و«زمن بين الولادة والحلم» لأحمد المديني، إلى غير ذلك من أسماء وأعمال. وفي الجزائر يبرز عدد من الكتاب الذين كتبوا الرواية بالعربية واهتموا بالقضايا المعاصرة والمشكلات والمصائب التي اعترضت المجتمع والإنسان العربي هناك بعد الاستقلال. ومن هؤلاء عبد الحميد بن هدوقة وواسيني الأعرج.. لكن أكثر هذه الأسماء شهرة وعطاء روائياً هو الطاهر وطار الذي يعد واحداً من كبار كتاب الرواية الواقعية العربية، ومن أشهر أعماله «الحب والموت في الزمن الحراشي» و«عرس بغل» و«الحوت والقصر» و«تجربة في العشق».

أما في تونس فقد تزعم البشير خريف تيار الواقعية في الرواية، وتابعه محمد العروسي كما في روايته «النضوج المر» في حين زاوج رشيد حمزاوي بين الجمالي والاجتماعي في «مات بودوا» ورسم محمد صالح الجابري لوحات تاريخية لصراع الطبقات الاجتماعية في رواية «يوم في زمرا» ورواية «البحر يلفظ فضلاته».

أما الرواية المكتوبة بالفرنسية في أقطار المغرب العربي، فقد توازت مع تلك المكتوبة بالعربية تحت تأثير الشروط الخاصة بأوضاع تلك الأقطار. ولم تبرز هذه الرواية في المملكة المغربية والجزائر بروزاً حقيقياً من الوجهة الفنية إلا في سنوات الخمسينات من القرن العشرين.

والجدير بالملاحظة أن الرواية المكتوبة بالفرنسية في أقطار المغرب العربي ليست الفرنسية فيها سوى وعاء لمحتوى عربي السمات كلياً، مع ما هو معروف من أن اللغة العربية هي «حامل ثقافي» أساسي. وربما مر وقت غير قصير قبل أن يتحرر الأدب في تلك الأقطار من الثنائية اللغوية بسبب ما سبق أن أشير إليه من شروط خاصة تتعلق بالاستعمار الطويل وآثاره في عرب تلك الأقطار.

أما في شبه الجزيرة العربية فإن الرواية لا تزال ضعيفة جداً هذا إذا استثني الكاتب عبد الرحمن منيف السعودي الذي لم يعش في السعودية بل تنقل بين الشام ومصر، وأصبح واحداً من مشاهير كتاب الرواية العربية. ومن أعماله «الأشجار واغتيال مرزوق» و«شرق المتوسط» وخماسيته الكبيرة «مدن الملح» التي يؤرخ فيها - فنياً - لشبه الجزيرة في العصر الحديث.

وهناك كاتب جديد من البحرين هو عبد الله خليفة وقد أصدر عدة أعمال منها «امرأة» في أوائل التسعينات ورواياته ناضجة فنياً وشيقة ومعبرة عن واقع بيئته ومشكلاتها.

إن ما تقدم ذكره حتى الآن من روايات عربية قد اهتم بالرواية التي تتناول القضايا الاجتماعية والنفسية، والمشكلات الاقتصادية أو السياسية والمسائل العاطفية وغيرها مما يشغل عرب هذا القرن من مشاغل مختلفة. على أن هناك نمطاً من الرواية لم يعرض له هو «الرواية التاريخية» ومن أعلامها جرجي زيدان الذي كتب سلسلة كبيرة من الروايات عن تاريخ الإسلام ومن هذه الروايات: «فتاة غسان» و«أرمانوسة» و«عذراء قريش» و«شجرة الدر» وغيرها. ومنهم معروف الأرناؤوط الذي كتب في الاتجاه السابق ذكره. ومن رواياته «سيد قريش» و«فاطمة البتول» و«طارق بن زياد».. وهناك علي الطنطاوي في «قصص من التاريخ» وعبد الحميد جودة السحار في بلال مؤذن الرسول و أميرة قرطبة وسعد بن أبي وقاص، كما كتب محمد فريد أبو حديد روايات عن «عنترة» وغيرها.

ولقد ركز بعض كتاب الرواية على تنسيق الأحداث وعرض جزئياتها وتنميتها وتعقيدها وإدخال عنصر التشويق فيها، كما ركز بعضهم على تصوير الشخصية المحلية أو الإنسانية ورسم أبعادها الجسمية والاجتماعية والنفسية. وتطورت كل من القصة والرواية في الأدب العربي الحديث من الإبداعية إلى الواقعية فالنفسية، ومن السرد إلى البناء الفني المتكامل. وبرزت في القصص مشكلات اللغة في السرد والحوار، أتكون عامية أم فصحى؟.. على أن معظم القصص والروايات الناجحة تطورت لغتها ولانت فأضحى حوارها فصيحاً مبسطاً، يهتم الكاتب فيه بما يجب أن يؤديه من رسم الشخصية، وكشف أبعاد الصراع،وتطوير الأحداث وتصوير البيئة في آن واحد.

- **المسرحية**

ارتقى الأدب المسرحي العربي منذ أوائل القرن العشرين ارتقاءً نوعياً عما كان عليه في القرن التاسع عشر فقد مر بمرحلة الترجمة عن الأدب الغربي، ثم مرحلة كتابة الهواة الذين كانوا يمثلون ما يكتبونه في الوقت ذاته. وقد تم الارتقاء المذكور على أيدي كتاب كثيرين من مصر وبلاد الشام بصورة أساسية.

ويعد توفيق الحكيم أكبر المسرحيين العرب شهرة وغزارة وتنوع إنتاج. فقد فاق غيره في تقنيات هذا الفن لاسيما الحوار. وتنوعت الاتجاهات لديه فكتب المسرح الاجتماعي كما في مجموعتيه «مسرح المجتمع» و«المسرح المنوع» كما كتب في المسرح الذهني مثل «أهل الكهف» و«شهرزاد» و«بغماليون» و«الملك أوديب» وكتب مسرح اللامعقول في مسرحية «يا طالع الشجرة» واستلهم بعضاً من التراث العربي مثل «هارون الرشيد» و«سليمان الحكيم» وجرب مزاوجة العامية بالفصحى كما في مسرحية «الصفقة».

ومن كتاب المسرح الأوائل في مصر محمود تيمور الذي استوحى بعض مسرحياته من التاريخ العربي مثل «صقر قريش» و«اليوم خمر» واستوحى بعضها الآخر من المجتمع مثل «كذب في كذب» و«أبو شوشة». وامتاز علي أحمد باكثير بمسرحياته التاريخية كما في «أبو دلامة» و«سلامة القس» وكتب بعض المسرحيات عن مصر القديمة مثل «أوزوريس» كما كتب المسرحيات الفكاهية مثل «قطط وفئران».

ومن أعلام المسرح المصري في النصف الثاني من القرن العشرين سعد الدين وهبة ومن مسرحياته «بير السلم» وألفريد فرج ومن مسرحياته «علي جناح التبريزي وتابعه قفة» ومحمود دياب ويوسف إدريس وعلي سالم وآخرون.

وأشهر كتاب المسرح في سورية سعد الله ونوس ومن مسرحياته «حفلة سمر من أجل 5 حزيران» و«الفيل يا ملك الزمان» «والملك هو الملك» و«سهرة مع أبي خليل القباني» وغيرها. ومن الكتاب المشهورين في المسرح السوري علي عقلة عرسان ومن أعماله «السجين رقم 95» و«رضا قيصر». ومنهم مصطفى الحلاج، ومن أعماله «القتل والندم» و«الغضب»، وممدوح عدوان ومن أعماله «ليل العبيد» و«كيف تركت السيف»، وأحمد يوسف داود ومن أعماله «الخطا التي تنحدر» و«الغراب»، وفرحان بلبل ومن أعماله «الممثلون يتراشقون الحجارة» و«العشاق لا يفشلون»، ورياض عصمت ومن أعماله «لعبة الحب والثورة» و«الحداد يليق بأنتيغون». ومنهم الأب إلياس زحلاوي ومن أعماله «المدينة المصلوبة» و«الطريق إلى كوجو»، وعبد الفتاح قلعة جي وله «ثلاث صرخات» و«السيد» وغيرها.

وأشهر كتاب المسرح في العراق هو يوسف العاني ومن أعماله «أنا أمك يا شاكر» و»المفتاح والخزانة» ومنهم نور الدين فارس وعادل كاظم وآخرون.

ومن لبنان اشتهر ميخائيل نعيمة في كتابة المسرح بمسرحيته الوحيدة «الآباء والبنون» وقد كتبها في المهجر. ومن الأجيال الجديدة روجيه عساف وآخرون. وقد ازدهر المسرح الغنائي في لبنان على حساب الأدب المسرحي العادي وقد سبقت الإشارة إلى ذلك. ومن كتاب المسرح في ليبية عبد الله القويري، ومن أعماله «الجانب الوضيء» و«الصوت والصدى»... ومنهم المهدي أبو قرين وله «ذريعة الشياطين» أما أكثرهم نشاطاً فهو عبد الكريم خليفة الدناع وله «دوائر الرفض والسقوط» و«سعدون» و«المحنة» وغيرها.

ومن كتاب المسرحية في تونس: خليفة السطنبولي وقد كتب بعض أعماله بالفصحى وبعضها الآخر بالعامية، ومنها «المعز لدين الله الصنهاجي» و«سقوط غرناطة» و«أنا الجاني». ومنهم عز الدين المدني وله «ديوان الزنج» و«رحلة الحلاج» و«الغفران» وغيرها.

وفي الجزائر اشتهر كاتب ياسين وقد ألف بالفرنسية وبالعربية ومن أعماله «محمد يأخذ حقيبتك» و«حرب الألفي سنة». وكتب هنري كريا «الزلزال» كما كتب محمد بوضيا «ولادات». ومن الأسماء التي برزت بعد الاستقلال: ولد عبد الرحمن بن كاكي وعبد القادر علولة وسليمان بن عيسى وآخرون.

وفي المغرب برز اسم أحمد الطيب العلج. ومن أعماله «الوزير والفنان» و«بين نارين» وغيرهما. وهناك أسماء أخرى معروفة مثل عبد القادر البدوي، مصطفى القومي، وعبد الهادي بوزوبع، والطيب الصديقي، وعبد الكريم برشيد وغيرهم.

وفي شبه الجزيرة العربية تأصلت الحركة المسرحية في الكويت بفضل إنشاء معهد الفنون المسرحية الذي كان أول عميد له أحد رواد المسرح العربي وهو زكي طليمات. وقد وجد المسرح في الكويت كاتباً موهوباً هو صقر الرشود 1944-1978 الذي استطاع على الرغم من رحيله المبكر، أن يترك للمسرح

العربي تراثاً من الأعمال الجيدة مثل مسرحية «الطين» وسواها. وقد ترجمت المسرحية المذكورة إلى الإنكليزية ضمن مجموعة مختارة من أدب شبه الجزيرة العربية، صدرت عن مؤسسة بروتا برعاية جامعة الملك سعود. ومن الشارقة في الإمارات العربية المتحدة برز اسم عبد الرحمن المناعي الذي كتب مسرحية «هالشكل يا زعفران» و«مقامات ابن بحر» و«يا ليل يا ليل».

وفي كتابة المسرحية - كما في القصة والرواية تبرز - مشكلة ذات أهمية بالغة تتعلق بلغة الحوار: أتكون فصحى أم عامية؟ أم يجمع فيها بين الاثنتين؟!

لقد ربط بعض الكتاب والنقاد الحوار بالواقع وقالوا بوجوب أن يكون مشاكلاً له، مناسباً للشخصية التي تنطق به. لذلك حاول توفيق الحكيم - كما سبقت الإشارة - أن يزاوج بين الفصحى والعامية في مسرحية الصفقة مجرباً أن يصل إلى «لغة موحدة» تقرأ بالفصحى وبالعامية في آن واحد، لكن التجربة أخفقت إذ استحالت لغة تلك المسرحية عامية خالصة في أثناء التمثيل. وتردد محمود تيمور في مسرحياته بين استعمال الفصحى والعامية فكتب بعضاً بهذه وبعضاً بتلك، ثم عاد فنقل مسرحيته «أبو علي عامل أرتيست» من العامية إلى الفصحى وسماها «أبو علي الفنان». وجرب ميخائيل نعيمة أن ينطق شخصيات مسرحية «الآباء والبنون»: المتعلمين بالفصحى، والأميين بالعامية فوقع في ازدواجية أنكرها هو ذاته إذ عاد فطبع مسرحيته كلها بالفصحى.

والواقع أن المشكلة ما تزال قائمة. فالمسرح التجاري في سورية يستعمل العامية المبتذلة، ومسرح ما بعد الحرب في لبنان يستعمل العامية على الرغم من أهمية الموضوعات المطروحة في كثير من الأعمال الجديدة. والمسرح الفكاهي في مصر يستخدم العامية المصرية كما في المسرحيتين المعروفتين «مدرسة المشاغبين» و«شاهد ما شافش حاجة». ولعل الحل يكمن في استخدام فصحى مبسطة يفهمها أبناء العروبة في مختلف أقطارهم لأن في ذلك حفاظاً على الروابط القومية وعلى اللغة العربية ذاتها.

المراجع

- ✓ ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب محمد بالنيس.
- ✓ دراسات في الأدب الجزائري الحديث أبو قاسم سعد الله.

الدفعة ثانية ماستر آداب حديث ومعاصر

السداسي الأول

قسم اللغة والأدب العربي جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

المحاضرة: 03 **مقياس :** النثر المغاربي للحديث المعاصر

الدكتور : العلمي مسعودي **السنة الدراسية :** 2022/2021

نماذج من الفنون التقليدية النثرية المغاربية

فن الخطابة

مقدمة :

تعرف الخطابة بأنها فن مخاطبة الجمهور، وهي كلام بليغ يلقى في جمع من الناس لإقناعهم بأمر ، أو استمالتهم إلى مبدأ ما. وقد شهدت الخطابة رواجاً وازدهاراً في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام والعصر الأموي، وذلك لتوفر عوامل ازدهارها، ولأهميتها وقوة تأثيرها، ولتوفر حرية القول خاصة. وقد اختلفت الخطابة في العصر الإسلامي عن نظيرتها في العصر الجاهلي، إذ تغيرت في أسلوبها ومحتواها نظرا للعقيدة الجديدة وطريقة نشرها، ولكنها رجعت في العصر الأموي إلى سالف عهدها لعودة العصبية القبلية ولانتشار الأحزاب السياسية المتصارعة. وقد استمر الصراع أيضاً في عهد العباسيين، وتنوعت الثقافة العربية بتنوع مشاربها، فحافظت الخطابة على مكانتها ومستواها الفني الرفيع في بداية العصر. لكنها ما لبثت أن خفتت لأسباب عدة، أهمها انعدام الحرية التي تؤدي إلى ازدهارها وقوتها، وكذا منافسة فنون نثرية أخرى لها، وخاصة منها الفنون النثرية المكتوبة.

وحين تدهور الأدب في عصر الانحطاط باتت الخطابة تقليداً أكثر منه إبداعاً، ومالت إلى الرتابة فظهر التكلف في أسلوبها وطابعها العام، واختصرت أغراضها على المناسبات الدينية.

الخطابة الجزائرية بعد الاحتلال: لم تستمر الخطابة على هذا النحو في الجزائر بعد الاحتلال، وذلك لظهور عدة مثقفين وشخصيات امتلكوا ناصية القول، وأدركوا دور الخطابة في الدعوة إلى الجهاد

واستنفار الذين يحاربون الأعداء، خاصة وأن فترة الاحتلال تساعد عل هذا اللون من النثر. وعلى رأس هؤلاء الأمير عبد القادر الذي اشتهر بخطبه الجهادية والدينية.

والنماذج التي وصلتنا من تلك الفترة تدل على أن الخطابة تحررت من أسلوب السجع المتكلف المقصود لذاته، ومالت إلى البساطة في التعبير والقصد في القول دون إطناب. إلا في

المناسبات التي تتطلب الكثير من الإقناع. فخاصية الحماسة في تلك الخطب من أبرز السمات التي نلحظها في إنتاج الخطباء في ذلك العصر لأن الخطيب كان في موقف يحتاج معه إلى أن يدعو الناس إلى القتال، ومكافحة الفرنسيين الغزاة. وهناك خاصية أخرى بارزة وهي النظرة الدينية التي كانت تطغى على تلك الخطب. أما الخاصية الثالثة التي نلحظها فيها، فهي أن أسلوبها واضح (وضوح الأسلوب) - لا تكلف فيه، وأن السجع يأتي تلقائياً والعناية به ليست مقصودة.

وعلى العموم فالخطباء في تلك المرحلة خطوا بالخطابة خطوة طيبة من حيث الصناعة فتحررت من الركاكة والتعقيد، وأصبحت فنّاً هدفه الإبانة والإفصاح عن الرأي لا التلاعب بالألفاظ والتقليد الجامد للأقدمين.

إن الحرب ضد المستعمر، وظروف الصراع أسهمت أن تصبح وظيفة الخطابة هي التعبير عن قضية وطنية، أو عن عقيدة روحية بعد أن كانت قبل الاحتلال تعبيراً عن موضوعات مستهلكة متكررة. فالأمير عبد القادر في إحدى خطبه يوضح موقفه من الاستعمار الذي نقض إحدى المعاهدات، ويوضح موقفه أيضاً تجاه الحرب والسلم، فلم يجد سوى الأسلوب الحماسي الذي يحث على القتال طريقاً لاستنهاض الهمم، وبعث النخوة في النفوس، مستشهداً بالقرآن والحديث. يقول:"... أما بعد: فلا يخفى أن الله تعالى قال في كتابه المجيد{ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذي يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة }. وقال{ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله }. فالبداية بالقرآن تحرك همم الجنود وتساعد على التأثير في نفوسهم، وتهيّئهم لأن يقتنعوا بالأفكار التي حث فيها على قتال العدو الفرنسي، بعد أن نقض العهد. يقول: "وهؤلاء القوم قد عاهدناهم فنكثوا، وصقدناهم فغدروا، وصابرناهم فلم يصبروا، وإن تركناهم وشانهم فلا تلبث أن نراهم قد فتكوا بنا على حين غفلة ".

نلاحظ من خلال هذه التعابير أن الأمير متأثر بأسلوب علي بن أبي طالب وطريقته في مراعاة الفواصل والمقابلة بين الكلمات، والعناية بتوليد الصيغ والمعاني. وإذا لاحظنا السجع فإنه غير متكلف، كما

أنه ليس عاماً في خطبه وليس مقصوداً لذاته. ثم إن الأمير لا يطيل في خطبه ولا يطنب، بحيث لا تحي بالملل حين تقرؤها وإنما يوجز بصورة واضحة.

<u>الخطابةعند الامير عبد القادر الجزائري</u>: ضعفت الخطابة وتدهورت أحوالها بعد الأمير، وذلك تبعاً لتدهور الظروف المتصلة بالحياة الأدبية والثقافية والفكرية والسياسية. فقد هيمن المستعمر على الواقع وكان تأثيره قوياً على أداة الخطابة، أي على اللغة العربية التي ضعفت، بل كادت تختفي من الحياة الأدبية والثقافية، الأمر الذي أثر في أسلوب الخطابة، كما أثر في أسلوب غيرها من الفنون الأدبية والنثرية خاصة بعد منتصف القرن التاسع عشر. وكان أن انحصرت الخطابة في المساجد والزوايا، وباتت تقليداً لعصور الانحطاط، بل أشد ضعفاً منها من حيث أسلوبها أو موضوعاتها. ولكن بعد أن انتشرت الأفكار الإصلاحية، واتصلت الجزائر بمن حولها، ونشأت النوادي والجمعيات الثقافية، وانتشرت الصحافة الوطنية، ظهرت الخطابة بوجه آخر متطورة في أسلوبها ومضمونها وموضوعها.

لقد كانت الخطابة أداة صالحة لإذاعة أفكار جمعية العلماء المسلمين ومبادئها بين الناس، ولأن بث الفكرة الإصلاحية يتطلب قدرة على الإقناع، واتصالاً مباشراً بالجماهير في شتى أنحاء الوطن، ظهر خطباء فصحاء مثلوا هذه الجمعية أحسن تمثيل، ويأتي في مقدمة الإصلاح الشيخ عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي، والطيب العقبي، وأحمد توفيق المدني، وغيرهم ممن بقيت آثارهم مسجلة في صحف معية العلماء مثل " الشهاب " و" البصائر " و"السنة " و" الصراط " وغيرها من المصادر.

وقد كانت جمعية العلماء المسلمين تعقد مؤتمرات سنوية عامة بنادي الترقي بمدينة الجزائر، فكان خطباؤها يتبارون ويحاولون إبداء ما لديهم من براعة وموهبة في هذا المجال، ويتنافسون ويتحاورون. وقد ألقيت سبع عشرة خطبة في الاجتماع السنوي الذي انعقد سنة 1935، وكانوا في كثير من الأحيان يرتجلون الخطب ارتجالاً.

وإلى جانب الاتجاه الإصلاحي في الخطابة، نجد اتجاهاً آخر يركز على الناحية السياسية الوطنية، ويهاجم الاستعمار بجرأة وصراحة فائقة. ويمثل هذا الاتجاه خطباء الأحزاب السياسية، وعلى رأسهم " حزب الشعب "، وقد كان فيهم من الخطباء باللغة القومية من لا يختلف عن خطباء حركة الإصلاح فصاحة وبلاغة وقدرة على الارتحال. إلا أن الاختلاف يكمن في المواضيع المطروقة. فالطابع العام الذي تتسم به

خطب المصلحين هو طابع الدين والوعظ، بينما يغلب على خطب رجال حزب الشعب طابع السياسة والحماسة والانفعال والهجوم على الاستعمار.

ولا يمكن أن نغفل اتجاهاً آخر يتزامن مع هذين المذكورين، وهو الاتجاه الطرقي الصوفي، حيث عرفت الجزائر عدداً ضخماً من الهيئات الصوفية، وكان لكل هيئة أتباعها ومريدوها، قاداتها وخطباؤها وعلماؤها، وكانت كل هيئة تجمع عيون أتباعها وخيارهم في كل مناسبة معينة، فتلقى الخطب ويتبارى الناس في تنميق الكلام. ومن أمثلة ذلك مؤتمر الطريقة العلوية الذي كان ينعقد بمدينة الجزائر كل سنة، ويدوم ثلاثة أيام تلقى خلالها الخطب. وقد حاول أحد أتباع هذه الطريقة أن يضع قواعد للخطابة الصوفية، فوضع مبادئ أهمها: الافتتاح بالذكر الحكيم - التجرد من الموضوعات السياسية، وعدم الخروج عن دائرة الدين - اتخاذ منبر للخطابة يرتفع قليلا عن الأرض.

وقد كانت هذه الاجتماعات السنوية لأتباع هذه الطريقة تعقد في مدن مختلفة، مما ساعد على انتعاش فن الخطابة. ولعل الصراع الفكري الذي كان على أشده بين هذه الاتجاهات المختلفة، أدى إلى إخصاب الخطابة وتنشيطها.

إن الحديث عن الخطابة عند المصلحين يوجّه الذهن مباشرة إلى زعيمهم الشيخ ابن باديس الذي سبق الجميع في الدعوة إلى الفكرة الإصلاحية. وهو في خطبه لا يركز عل غرض واحد، بل نجده حيناً يركز على الدين، وحيناً آخر يركز على الإصلاح، وأحياناً أخرى على السياسة والإصلاح معاً، وعلى التربية والأخلاق في أوقات كثيرة. ومن مميزات خطبه أنه لا يتكلف أو يتظاهر بالفصاحة، كما أنه لا يستخدم الخطابة لإظهار قدرته على القول، وإنما يستخدمها ليؤكد

أغراضه وأهدافه الإصلاحية والوطنية. كما أنه يمزج بين الإصلاح والسياسة الوطنية في مناسبات كثيرة.

أما عن أسلوبه فهو يمتاز بالوضوح والدقة، واختيار الألفاظ وتفصيل القول. ولكنه قد يستخدم السجع أحياناً قليلة، وقد يكون عفو الخاطر لا يقصد إليه قصداً.

ويأتي بعد الشيخ البشير الإبراهيمي في مقدمة الخطباء والبلغاء، فقد امتلك ناصية القول واستوعب البيان العربي، وتبحر في اللغة العربية وآدابها. وامتاز بالقدرة على توليد الكلام والموهبة الأدبية، وعُرِفَ

بالارتجال. يقول عنه " ابن ذياب " في مقالة بعنوان " الخطابة والشيخ الإبراهيمي ": « فهالني أن أسمع الرجل يقول فيطيل القول، ولا يعوزه على ما قال برهان، فآمنت أن الرجل أخطب من سحبان ».

ولكن خطب الإبراهيمي الكثيرة لم يبق منها إلا القليل، لأنه كان يرتجلها ارتجالاً في معظم الأحوال، وهو متنقل في ربوع كثيرة من الوطن. ويخطب في محافل كثيرة داخل الوطن وخارجه، ولو جُمِعَت آثاره في هذا المجال لتغيّرت النظرة نحو الخطابة الأدبية في الجزائر.

كان الشيخ يمتاز بأسلوب خاص في النثر، خطابة أو مقالاً، فهو في تعبيره يميل إلى الجزالة والفخامة، ويعنى بأساليب البلاغة العربية من جناس وطباق وتورية وتشبيه واستعارة، وما إلى ذلك من أنواع البديع والبيان. لذلك فهو ينتمي إلى مدرسة البلغاء العرب المشهورين بالقدرة على توليد المعاني والاحتفال الذي يأتي عفواً دون أن يقصد إليه.

وهناك خطيب آخر اشتهر بالقدرة على الارتجال والنفس الطويل، وهو الشيخ الطيب العقبي الذي كان من رجال الحركة الإصلاحية البارزين، وقد عُرِف بخطبه الإصلاحية التي تهاجم البدع والخرافات، وتدعو إلى التحرر من رواسب الماضي.

وإذا أردنا أن نصف مختلف المواضيع التي تناولها الخطباء الجزائريون، نجد خطباً ذات موضوعات علمية تعالج قضايا الثقافة والعلم بالمعنى التقليدي. وكانت تلقى في مواقف علمية كافتتاح دروس التفسير أو ختمها، أو تأبين شخصية أدبية، أو إحياء ذكريات وفاتها، أو في تدشين

المدارس العربية الحرة، وهي تقريباً كلها خطباً أدبية خالصة. إلى جانب موضوعات دينية عالجتها الخطب التي تلقى في مناسبات دينية، كذكرى المولد النبوي الشريف، وشهر رمضان، وليلة القدر، وذكرى غزوة بدر، وأيام الجمعة.

وهناك موضوعات مختلفة تدور حول الزواج طوراً، وحول استقبال الوفود أطواراً أخرى. إلى جانب موضوعات سياسية سيطرت على خطب الأحزاب المختلفة، وموضوعات تربوية إصلاحية تخصصت فيها حركة الإصلاح.

وعلى العموم استطاع فن الخطابة في هذه الفترة أن يؤدي دوره الأدبي في الجزائر، حيث طرق أهم الموضوعات التي كانت تشغل بال الناس يومئذ. وعالجها في شجاعة وإقدام، بالرغم من اضطهاد المستعمر، وتضييقه الشديد على المثقفين باللغة العربية.

وختام القول: إن الخطابة في النثر الجزائري، وإن استندت على التراث العربي القديم، وتأثرت بالأساليب العريقة فيه، إلا أنها اختلفت من حيف المحتوى والموضوع من جهة، وتحررت من الزخرف اللفظي، ومالت إلى الوضوح والبيان العربي الأصيل من جهة أخرى.

وبقيام ثورة نوفمبر، فتحت مجالاً جديداً للخطباء، واستخدمت الخطابة أداة ووسيلة لتعميق المفاهيم الثورية في الأذهان - أذهان جنود جيش التحرير وأفراد الشعب بوجه عام - ولسوء الحظ ضاعت معظم هذه الخطب.

أما بعد الاستقلال، فإن الظروف تغيّرت، وتغيّر موضوع الخطابة لتغيّر الواقع، وربما أمكن القول بأنها ضعفت من حيث صياغتها، لأن العناية بها من الناحية الأدبية قد قلّت، وأصبح الهدف هو التعبير عن الفكرة وتوصيلها إلى الجماهير، بغض النظر عن الجمال .

<u>نماذج من الخطب</u> :

1/ الأمير عبد القادر الجزائرى :من خطبة قالها متوجها إلى جنوده يدعوهم لتلبية نداء الجهاد ،يقول ":فهيا بنا أيها المسلمون إلى الجهاد ،وهلموا إليه باجتهاد وارفعوا عن عواتقم برود

الكسل وأزيلوا من قلوبكم دواعي الخوف والوجل ،أما علمتم أن من مات منكم مات شهيدا ومن بقي نال الفخار وعاش سعيدا."

2/عبد الحميد بن باديس : في احدى خطبه عام 1937يشيد بالعربية والعروبة معا يقول:

"..أما بعد فحياكم الله أبناء العربية والإسلام وأنصار العلم والفضيلة ،حوربت فيكم العروبة حتّى ظن أن قد مات منكم عرقها ومسخ فيكم نطقها فجئتم بعد قرن تصدح بلابلكم بأشعارها فتثير الشعور والمشاعر وتهدر خطبائكم بشقاشقها فتدك الحصون والمعاقل ويهز كتابكم أقلامها فتصيب الكلى والمفاصل ".

3/ البشير الإبراهيمي : من خطبة ارتجلها بمناسبة اختتام تفسير ابن باديس القرآن ،وجاء فيها :" ما أشرقت شمس في الجزائر الحديثة على مثل يومكم بالأمس .ولقد مضى بجلاله وروعته ولم ينطق في وصفه لسان بكلمة ولا اختلجت من نعته شفتان بحرف ،لا زهدا فيه ولا عدم عرفان لحقه ولا غبنا لحقيقته ...وإنما هو كلام الله وبيت الله عقدا الألسنة بجلالها وحبسا النفوس على جمالها".

المراجع

- ✓ عمر بن قينة ادب في الجزائري تاريخا و أنواع والقضايا واعلاما .

الدفعة ثانية ماستر آداب حديث ومعاصر

السداسي الأول

قسم اللغة والأدب العربي جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

المحاضرة: 04 **مقياس :** النثر المغاربي للحديث المعاصر

الدكتور : العلمي مسعودي **السنة الدراسية :** 2022/2021

نماذج من الفنون التقليدية النثرية بالمغرب العربي

أ ـ خطبة الأمير عبد القادر في الجموع ونص البيعة:

خاطب زعماء القبائل والأعيان وممثلي العشائر والعلماء فقال: بعد ذكر اسم الله الرحمن الرحيم والصلاة على رسوله بادرهم بقوله: «إنني لست أفضلكم خلقاً وشجاعة وحكمة، ولم يخطر لي هذا المنصب يوماً، ولكنني أجبرت عليه كما تعلمون، فهو مسؤولية أمام الله وأمامكم، أرجو منه تعالى التوفيق والعون لتطهير البلاد من الغزاة، ورفع راية الإسلام عالية في سماء بلادنا، فالإسلام هو الذي وحدّ قبائلنا بعد شتات وجعلها قوة لا تقهر، تدفعنا ميادين المجد والشرف، وجعلنا إخوة يحب أحدنا لأخيه ما يحب لنفسه، ولا فرق بين عربي وأعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى، وأمرنا بالعدل والمساواة.

وإذا عدنا إلى التاريخ نجد كل من دخل هذه البلاد غازياً من رومان وفاندال وإسبان هزمتهم قوة بأس وشجاعة الأجداد، وكان هدف غزوهم لبلادنا إخضاع شعوبنا وإذلالها، ونهب خيرات بلادنا، لزيادة رفاهية شعوبهم.

والذين حالف النصر أعلامهم من الفاتحين حملوا إلى هذه البلاد حضارة إلهية، وشيدوا صروحاً من القيم باقية إلى الأبد لا ينضب معينها، ودخلوا هذه البلاد لتكون دعوة الإسلام حرة فيها، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ *} [الأنبياء : 107]. ومدنية راقية لا تزال اثارها تشهد عليها في مدننا في فاس، وقرطبة، وغرناطة، وإشبيلية، وفي وهران، وقسنطينة، إخوتي في الإسلام، أيها السادة زعماء القبائل والعلماء، أيها المجاهدون من أبناء هذا الوطن العظيم سنكون أقوياء، سندافع عن الراية والرسالة التي حملها لنا طارق بن زياد، وموسى بن نصير، وسيظل ارتباطنا وثيقاً بدولة الخلافة العثمانية ارتباطاً روحياً بنظامها الإسلامي، ولن نكون جاحدين لأعمال الأخيار من الولاة في خدمة الإسلام ومحاربتهم لقوى الشر في بلادنا، ولن تخرج دولتنا عن طاعة الخليفة، ولن نكون عوناً لأعدائها عليها، وكما قال والدي: هذا

المنصب الذي اخترتموني له لن يكون متوارثاً، وأرفض لقب سلطان أو ملك {حَسْبِيَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ *} [التوبة :129]. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

فلاقت هذه الخطبة حماساً منقطع النظير من جموع الحاضرين، وضج المسجد بأصوات الرجال «الله أكبر» ثم نهض العالم الفقيه محمد بن حوا، وكان يرتدي الثوب الجزائري وفوقه البرنس الأبيض وعلى رأسه العمامة البيضاء، وقرأ نص المبايعة:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله أجمعين، بعد مبايعة الإمام الجليل الشريف محيي الدين وتنازله عنها لولده عبد القادر بن محيي الدين أحيا الله بهما الدين وأعانهما على القيام بإعلاء كلمته، وأهلك بدولتهما أهل البغي والفساد والغزاة المعتدين، نحن جميعاً علماء غريس وأشرافها وما جاورها وزعماء قبائل العباس والخالدي والإبراهيمي والحساني والعوفي والجعفري والبرجي والشقراني والزلامطة ومغراوة وبني السيد وحق الخلوية والمشارف وكافة أهل وادي الحمام وزعماء الدوائر والزمالة وبني خويدم وعكرمة وفلقية والمفاحلية والغراية والحساسة وأولاد الشريف وصدامه وكل من حضر هذه البيعة، نبايع أبا المكارم ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين، صاحب الفضل المجاهد الشجاع ذا النسب الشريف، قامع أعداء الله الظالمين أيده الله بنصره، نبايعه على الجهاد والحكم بكتاب الله وسنة رسوله وعلى الطاعة، ونصرة الله في السراء والضراء، ومن ينكث فإنما ينكث على نفسه، وخسر يومه وأمسه والله الموفق.

المراجع

- ✓ عيون البسائر .
- ✓ اثار الشيخ البشير الابراهيمي .

ثانية ماستر آداب حديث ومعاصر

السداسي الأول

قسم اللغة والأدب العربي جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

المحاضرة: 05 **مقياس :** النثر المغاربي للحديث المعاصر

الدكتور : العلمي مسعودي **السنة الدراسية :** 2022/2021

تابع نماذج من الفنون التقليدية النثرية بالمغرب العربي

ب- المقال الأدبي عند الشيخ البشير الابراهيمي:

المقالات الأدبية من الأدب الإنشائي ينشؤها صاحبها بغية تصوير المشاعره و انطباعاته نحو بعض

الأحداث أو المناضر أو القضايا أو المواقف و التي جعلت أسلوبه أدبيا من أبرز خصائصه، العاطفة و الخيال و اللفظة الموحية المعنى و البديع و جمال العرض، و التأنف في المعنى و يعرفه بعض من الادباء بأنه قالب من النشر الفني يعرض فيه موضوع ما عرضا متسلسلا مترابطا.

و المقال الأدبي تعبير فني صادق عن تجارب الكاتب الخاصة و الرؤى التي تتركها انعكاسات الحياة في نفسه، وهي في أحسن حالاتها ضرب من الحديث الشخصي الأليف، و الثرثرة و المسامرة، و الاعتراف و البوح، ولكنها تمتاز إلى جانب ذلك بروعة المفاجأة و توقد الذكاء و تألف الفكاهة و لا تخلو من السحرية الناعمة أو الحادة،تبعا لاتجاه الكاتب و ألوان شخصيته .

- **فن المقال الأدبي يتميز بجملة من الخصائص منها:**

1 .الايجار.

2 .ابتعاد عن استخدام الأرقام و المصطلحات العلمية، و اللغة الدارجة

3 .التنوع في الأسلوب سواء كان الخيري أو الانشائي.

4 .استعمال الصور و كذلك المحسنات البديعية التي تضفي على المقالة جمالا و رونقا.

5 .التعبير عن الرؤية الشخصية للكاتب و اذا نجد أن الكاتب في هذا المقال بهدف للوصول إلى جمال

التعبير مع استعماله لأغراض جمالية و بمعنى آخر إن كاتب المقال الأدبي يهدف إلى أغراض جمالية،

ويتوخى درجة عالية من جمال التعبير كما يتوخاها الأديب الذي يرى الجمال غاية في ذاته و عرضا يسعى

إلى تحقيقه وإذا ركزنا حديثنا عن خصوصية لغة البشير الابراهيمي فحينها نكون قد تحدثنا عن سيئين متكاملين، فلقد عرفته الثقافة و الأدب محاضرا و خطيبا فهو رجل قل نظيره في اللغة و البيان، حيث اتخذ من اللغة وسيلة راقية للتعبير عن فكر متحضر و بعد نظر و تبصر بالأمور

، فقد تميز الأسلوب تعبيري خاصة حينما استخدم اللغة

العربية كوسيلة او كأداة للاسلام و بصفتها لغة رسمية اعتمدها المسلمين و أخذها.

ومن خلال وصفه للأمة بأنها لغة دين و حق و حين نحافظ عليها فإننا نكون حافظنا على جنسيتنا و ديننا

و عن الأمة جمعاء، و هذا النص جاء في مقال كتبه حول (التعليم العربي) خاصة اللغة العربية التي هي لغة الاسلام الرسمية، ومن ثم قي لغة المسلمين الدينية الرسمية من حيث أنها لغة دين الأمة، بحكم أن الأمة مسلمة، وحق أنها لغة جنسها بحكم أن الأمة مسلمة، وحق أنها لغة جنسها بحكم أن الأمة عربية الجنس، ففي المحافظة عليها محافظة على جنسية و دين معا، ومن هنا نشأ ما نراه من حرص متأصل في هذه الأمة على تعلم العربية ومن جهة أخرى نجد نظرة الأمة الجزائرية للغة العربية تتجلى في كونها حافظة و نجد أن الكاتب نجح في الشف عن رؤية الأمة الجزائرية، إزاء اللغة العربية يتألف لا مثيل له فتنظر لها على أنها لغة لا تقتصر على ترجمة الأفكار أو حزن للاسرار حسب بل يتجاوز كل هذا التنقل إلى مجال أوسع و هو مجال الروحانيات من دين و عقيدة، فهي الرابط الذي بواسطته يتواصل الانسان مع شعائر هذا الدين فإن عابث غاب كذلك و هذا ماأدرجه حافظة دينها و مصححة عقائدها.

ونجده يوظف تثمنيه لهذه الشاعرية القوية أو الرؤية الأدبية بأنها لو ازدادت ارتباطا و توسعا لغوي، و قراءات لفحول البلاغة و أدبائها حينما يقول فيه "ولكم تمنيت لهذه الشاعرية القوية، لوصحبها توسع لغوي، و قراءة متأنية لفحول البلاغة، وإذا لجاء من هذا الشاعر، نادرة العصر، ولكشف عن فحولة تحتمل الفحول" قدم الابراهيمي رأيه الخاص في كيفية التربية الصحيحة للمواهب و الملكات الأدبية حيث أعطى نصيحة لأدبائها الكسالى و يقترح عليهم عدم اقتناعهم بالكتب المقررة بل إلى أكثر من ذلك بما يصقل الذهن و يكون الاديب و يدعوهم إلى الغدمان على القراءة المتأنية المتدبرة لكتب الادب الحرة الأصيلة، والاكثار من حفظ الشعر و اللغات و الأمثال و الحكم، و التعلم من كلام البلغاء من شاعر و خطيب و كاتب، و الشعور على الكتابة فمن خلال ما اكتسبه يصبح لديه القدرة على الكتابة التلقائية المليئة بالمعاني العميقة و الهادفة في نفس الوقت في هذا نجده:

يقول في مقالة "سؤال و جوابه".

"أكرر النصيحة لأدبائنا الكسالى، و أجعل هذه النصيحة عدولا للجورب و رجله، أن لا يقنعوا من

الأدب بما يلقاهم منه في أيام الطلب في الكتب المقررة فإن ذلك القدر النزر لا يرجى ملكة، ولا يصقل ذهنا

و لا يكون أديبا، إنما يربي الملكات الأدبية الصحيحة و يقومها الادمان إدمان القراءة المتأنية المتدبرة، لكتب الأدب الحرة الاصيلة، والاستكثار من حفظ الشعر واللغات و الأمثال، ومعرفة مواردها ومضاربها، و التنبه لمواقع استعمالها من كلام البلغاء ، من شعراء و خطباء و كتاب ثم ترويض القرائح والألسنة والأقلام على محاذاة، ذلك ادنى أن تستحكم الملكة بأمداد، وتوضع الكلمات في الجمل، في موضوع الألي من العقد، وما جاء حسن العقد منظوما، غلا من حسنة منشورا، ثم تكون الحكم و الامثال و النكت كافواصل الجمان....الخ

المراجع

- ✓ عيون البصائر .
- ✓ اثار الشيخ البشير الابراهيمي.

الدفعة ثانية ماستر آداب حديث ومعاصر

السداسي الأول

المحاضرة: 06 **مقياس :** النثر المغاربي للحديث المعاصر

الدكتور : العلمي مسعودي **السنة الدراسية :** 2022/2021

السردي المغاربي

الرواية العربية المغاربية:

لقد ارتبط مفهوم الرواية بعملية الجريان والانتقال من موضع الى آخر ،كما ارتبطت بسقاية الماء،ثم انتقل هذا المفهوم الى نقل الأقوال والأحاديث .والرواية مرتبطة بعناصر هي مكونات الخطاب الروائي وتتمثل في الشخصيات والمكان والزمان والسرد والوصف والأسلوب .

تشير أغلب الدراسات النقدية التي تناولت الرواية إلى أنأولى الكتابات التي تعتبر نواة الرواية العربية هي رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل،ويرى آخرون أن كتاب رفاعة الطهطاوي "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"هو بداية الفن القصصي في الأدب العربي. ثم يليه المويلحي بكتاب "حديث عيسى بن هشام" ،ثم كتابات جورجي زيدان، وبعد ذلك تأتي رواية "زينب."هذه آراء نقدية أوردناها ،وسنتطرق إلى آراء أخرى تكشف عن نصوص أدبية أخرى ظهرت في الجزائر في صيغة قصصية، تمهد لظهور الرواية في الجزائر والوطن العربي.

في حين يرى آخرون أن كتاب "الأجنحة المتكسرة" لجبران خليل جبران أهم من "زينب" ونشر قبلها بسنتين.

ظهرت الرواية في تونس في الثلاثينيات من القرن العشرين،من خلال أعمال محمود المسعدي "مولد النسيان" و"أحاديث أبي هريرة"، ثم تلتها في نهاية الستينيات نصوص للبشير خريف"الدقلة في عراجينها".

في المغرب ظهرت الرواية في 1924،مع عبد الله الموقت (الرحلة المراكشية) الذي اصطبغ بالصنعة اللفظية وهونص قريب من أدب الرحلة،يراه البعض نصا روائيا تأسيسيا .ويرى نقاد أن نص (في الطفولة) 1957، لعبد المجيد بن جلون يشكل أول رواية مغربية.ولقد سبقه عبد المجيد بن عبد الله الذي كتب نماذج قصصية مثل(غادة أصيلا) و(الدمية الشقراء).

ركزت الرواية المغربية على السيرة الذاتية و توظيف التاريخ كمرجع للأحداث.كما ظهرت في الستينيات روايات أخرى لمحمد التهامي(ضحايا الحب) 1963.وأمطار الرحمة لعبد الرحمن المريني 1965. و(بوتقة الحياة) لأحمد البكري السباعي 1966. و(غدا تتبدل الأرض) لفاطمة الراوي 1967.و(سبعة أبواب)لعبد الكريم غلاب 1965.و(دفنا الماضي) لعبد الكريم غلاب1966.و(جيل الظمأ) لمحمد عبد العزيز الجباني 1967.هذه الرواية يعتبرها النقاد رواية تأسيسية في المغرب.

يمكن القول أن الرواية ظهرت بالمغرب متأخرة عن مثيلاتها في الدول العربية، هذا التأخر أدى إلى ظهور التقليد للنماذج المشرقية. لقد امتزجت الرواية المغربية بالسيرة الذاتية فالكاتب يعتمد على تجربته الشخصية في كتابة الرواية.وهذا الأمر نلاحظه عند طه حسين في كتاب(الأيام)، الذي هو قريب جدا من الرواية وفي مضمونه تجربة ذاتية للكاتب.ففي رواية (في الطفولة) نجد حضور بيئتين هما المغرب وانكلترا كمكانين عاشت فيهما شخصية طفل.

يمكن القول أن الرواية المغربية بعد الاستقلال ارتبطت كثيرا بالواقع ،على أساس أن هذا الاتجاه هو الكفيل بمواجهة تطلعات المجتمع المغربي من جهة، كما أن التحولات السياسية والاجتماعية للمجتمع المغربي فرضت مواجهة مرحلة جديدة تقتضي التوجه الى خدمة القضايا المصيرية للمجتمع. يظهر ذلك في كتابات (مبارك ربيع-محمد زفزاف-محمد شكري-عبد الكريم غلاب...)

في ليبيا انطلقت الرواية بداية الستينيات مع (قصة أقوى من الحرب)و(حصار الكوف)1964 لمحمد علي عمر و (اعترافات إنسان) 1961لمحمد فريد سيالة، و(غروب بلا شروق)1968لسعد عمر الغفير.

1- تونس

قصة سهرت منه الليالي لعلي الدوعاجي

سهرت منه الليالي؛ قصة قصيرة واقعية من تأليف الكاتب التونسي الشهير علي الدوعاجي، نُشرت أوَّل مرة في مجلة الأسبوع عام 1946م، كما نشرت لاحقًا ضمن مجموعة قصصية بالاسم نفسه، وتقع هذه القصة في خمس صفحات، وفيما يأتي ملخَّصها:

الخالة تتضجر من حال ابنة أختها

تبدأ قصة "سهرت منه الليالي" بزيارة الخالة السمينة إلى بيت ابنة أختها، فقد كان من عادتها أن تزورها كل فترة، وكانت ابنة أختها زكية الفتاة الأُميَّة الطيبة قد تزوَّجت من رجل متعلِّم يُحب القراءة كثيرًا ولكنَّه إنسان عابث وَلاهي، وبينما الخالة تصعد السلَّم تشعر

وكأنَّها تمشي على الصراط؛ بسبب وزنها الزائد وسوء السلَّم الذي يصل إلى البيت، ترى ابنة أختها زكية في حالة مُحزِنة.

كانت عينا زكية متورمتين وسحنتها شاحبة إلى درجة كبيرة، فانهالت عليها الخالة بالعتاب واللوم حتَّى تستفسر عن حالتها تلك، فاعترفت لها زكية أنَّ ذلك من البكاء ومن المعاناة التي تعيشها مع زوجها، فاستهجنت الخالة ذلك خاصةً أنَّه لم يمرُّ على زواج زكية أكثر من عامين.

زكية تشتكي زوجها

بدأت زكية بالإفصاح عن همومها لخالتها، فقد باتت حياتها جحيمًا في بيت زوجها المتعلِّم؛ إذ إنَّه رجلٌ سكِّير، يقضي لياليه في اللهو ولا يرجع إلى البيت إلا بعد منتصف الليل وقد أعماه السُّكر وأذهب عقله، وينهال على الفتاة المسكينة بالشتائم والإهانات، وكثيرًا ما كان يضربها ويُؤذيها.

كان أكثر ما يُؤسف زكية وجود ابنهما الصغير الذي كان يلقى نصيبه من الضرب والتعنيف من الزوج السكير أيضًا، الذي كان ينام معظم النهار، وقد عبَّرت زكية عن ذلك قائلةً: "إنَّه لا يصحو إلا بعد منتصف النهار، كعادته، وإن صحا فلكي ينام مجددًا"، وقد أصبحت حياتها معه لا تُطاق أبدًا.

الخالة تنصح ابنة أختها زكية

لم تستطع الخالة أن تصبر بعد أن سمعت تفاصيل تلك المعاناة التي تعيشها ابنة أختها، ونصحتها أن تطلب الطلاق فورًا من ذلك الرجل الظالم، لكنَّ زكية استغربت من ذلك، فأوضحَت لها خالتها سبب ذلك، حيثُ إنَّ حمق الرجل ليس هو المشكلة على حدِّ تعبيرها، ولا سكره ولا كثرة القراءة.

فجميع تلك الصفات لا تستدعي طلب الطلاق، أمَّا الضرب وسوء المعاشرة هو ما انتفضت عليه الخالة، وألحَّت على ابنة أختها أن تجمعَ أغراضها وتذهب معها فورًا من أجل المبادرة بطلب الطلاق وزجِّ ذلك الزوج في السجن.

تنهي زكية النقاش مع خالتها بإبداء ملامح الخجل

شعرَت زكية بالخجل الشديد بعد كلام خالتها، وألقت نظرةً إلى الغرفة التي ينام فيها زوجها، ثمَّ طلبت من خالتها أن تخفض صوتها قليلًا، لكنَّ الخالة ثارت أكثر وطلبت من زكية توضيحًا، فأخبرتها زكية وقد أنهت النقاش مستسلمةً لواقعها المرير مرة أخرى قائلةً: "هو، دعيه ينام المسكين، لقد سهر كثيرًا ليلة البارحة يا خالتي".

العبرة من هذه القصة هي أنّ الظروف الاجتماعية التي تعيشيها النساء في المجتمع العربي سبب للظلم الذي يتعرضن له، إذ صوَّر الكاتب في هذه القصة معاناة المرأة في حياتها الزوجية والظلم الذي تتعرض له، ولكنَّها رغم ذلك لا تتخلّى عن زوجها.

2- الجزائر

قصة ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة

لقد شهد الأدب الجزائري محاولات قصصية مطولة تنحو منحى روائيا ، وأول عمل من هذا النوع كتبه صاحبه سنة 1849 وهو "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" لمحمد بن إبراهيم المدعو الأمير مصطفى ، ثم تبعته محاولات أخرى مثل "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو، "الطالب المنكوب" لعبد المجيد الشافعي ، " الحريق" لنور الدين بوجدرة ...

إلا أن النشأة الجادة لرواية فنية ناضجة ارتبطت برواية "ريح الجنوب" ، وقد كتبها عبد الحميد بن هدوقة في فترة كان فيها الحديث جديا عن الثورة الزراعية فأنجزها في 1970/11/5 ، ثم كان التطبيق الفعلي لهذا المشروع في 1971/11/8 ، فدشن الرئيس هواري بومدين أول تعاونية للثورة الزراعية في قرية خميس الخشنة في 1972/06/17 ، ثم دشنت بعد ذلك أول قرية اشتراكية في عين نحالة بتاريخ 1975/06/17 .

تنطلق الرواية في صباح يوم الجمعة ، - وهو يوم سوق – أين يستعد عابد بن القاضي للذهاب إلى السوق مع ابنه عبد القادر ، فيقف قرب الدار متأملا أراضيه وقطيع الغنم الذي يقوده الراعي رابح ، وعلى صدره هم ينغص راحة باله ، ذلك أن هناك إشاعات بدأت تروج منذ صدور القرارات المتعلقة بالتسيير الذاتي حول الإصلاح الزراعي ، ثم خطرت بباله فكرة بعثت في نفسه السرور حين نظر من الخارج إلى غرفة ابنته نفيسة ، يتلخص مضمونها في تزويج ابنته إلى مالك شيخ البلدية والذي يقوم بتأميم الأراضي ، في ذلك الوقت كانت نفيسة داخل غرفتها تعاني الضيق و الشعور بالضجر تقول أكاد أتفجر، أكاد أتفجر في هذه الصحراء ، ثم تضيف " كل الطلبة يفرحون بعطلهم ، أما أنا فعطلتي أقضيها في منفى " ، و فجأة تهدأ نفيسة من حالة الاضطراب ، عندما تسمع صوت أنغام حزينة كان يعزفها الراعي رابح ، فتطرب ولا يخرجها من ذلك إلا صوت العجوز رحمة منادية على أخيها عبد القادر من بعيد ، معلنة عن قدومها ، كي تذهب مع خيرة – والدة نفيسة- إلى المقبرة ، فترغب هذه الأخيرة في الذهاب معهما " أرغب في ذلك يا خالة ! أود أن أرى الدنيا ، إنني اختنقت في هذا السجن" .

بعد أيام تحتفل القرية بتدشين مقبرة لأبناء الشهداء الذين سقطوا أيام حرب التحرير، فيستقبل عابد بن القاضي أهل القرية في بيته رغبة منه في التأثير في مالك و إعادة ربط ما بينهما من صلات قديمة فمالك كان خطيب زليخة – ابنة عابد بن القاضي- والتي استشهدت أيام الثورة ، حين أعد مالك ورفاقه من المجاهدين لغما كان من المفترض أن يستهدف قطارا

عسكريا ، لكنه خطأ استهدف قطارا مدنيا كانت زليخة من ركابه ، مما أثار غيظ ابن القاضي فوشى بالمجموعة لقوات الاحتلال ، فأثر ذلك في نفس مالك و أصبح يتهرب منه ، وفي هذا اليوم يوم الاحتفال يدعو عابد بن القاضي مالكا لرؤية زوجته خيرة ، لأنها ترجو ذلك منه ، فيقبل دعوتها، وعندما يدخل الغرفة ما إن يقع نظره على نفيسة حتى يبهت لما رأى ، فهي شديدة الشبـه بأختها وخطيبته السابقة زليخة .

ويسعى عابد بن القاضي لإشاعة خبر خطوبة مالك لابنته نفيسة على الرغم من تحفظ مالك ، فتعلن خيرة هذا الخبر لابنتها فترفض بشدة لأنها لا ترغب بالبقاء في القرية ، كما انه لا تريد الزواج بشخص يكبرها سنا ولا تعرفه جيدا وحين يصر الأب على قراره وتفشل في صده ، تستنجد بخالتها التي تسكن في الجزائر فتكتب لها رسالة ، تطلب من رابح أن يحملها إلى القرية المركزية ويضعها في البريد ، فيعجب بها رابح لأنها تكلمت معه بلطف ، وظنها معجبة به ، فقرر زيارتها ليلا، وبالفعل يقوم بذلك، وعندما تجده فجأة أمام سريرها تدفعه وتشتمه: " أخرج من هنا أيها المجرم ! ، أيها القذر أيها الراعي القذر " ، فخرج مطأطأ رأسه حزينا ، وبقيت تلك الكلمة المؤلمة تدوي في سمعه " أيها الراعي القذر " ، ومن يومها يقرر ترك الرعي ويشتغل حطابا.

تمر الأيام ولا يزال الأب مصمما على تزويج ابنتـه لمالك ، فتفكر طويلا في حل لمشكلتـها ، فتفكـر في إدعاء الجنون ثم الانتحار ، وأخيرا يقـع اختيـارها على حل نهائي وهو " الفرار" ، فتضع خطة محكمة للهروب ، وتقرر تنفيذ خطتها يوم الجمعة لأن الرجال يتوجهون إلى السوق بينما النساء يتوجهن إلى المقبرة ، فتخرج متنكرة مرتدية برنس والدها حتى لا يعرفها أحد ، فتتجه إلى المحطة عبر طريق ذا طابع غابي فتظل ويلدغها ثعبان ، فيغمى عليها، ويصادف أن يجدها رابح – الذي أصبح حطابا- فيتعرف عليها ، و يعود بها إلى بيته أين يعيش مع أمه البكماء ، ولا يطلع والدها لأنها لا تريد العودة " دار أبي لن أعود إليها أبدا " ، لكن الخبر يشيع في القرية فيعلم والـدها ، ويعزم على ذبح رابح ، فينطلق إلى بيته ، ويهجم عليـه بقوة شاهرا " موسه البوسعادي " فتنهار قوى رابح ، فتسرع أمه إلى فأس ضاربة عابد بن القاضي على رأسه فتنفجر الدماء من رأسه ومن عنق رابح ، فتنصرف الأم مسعفـة ابنها و البنت مسعفة أباهـا ، ثم قامت الأم ودفعت نفيسة إلى خارج البيت وبدأت تصرخ ، فأقبل الناس فزعين ، واتجهت نفيسة راجعة إلى بيت أبيها، بعد أن فشلت محاولتها في الهرب

3- المغرب

رواية مجنون الحكم لبنسالم حميش

تستلهم هذه الرواية عناصر التاريخ شخوصاً ووقائع ومجريات، وتبني فرادتها كأثر فني معاصر وحديث، من خلال منظور فكري وفلسفي جديد للتاريخ تسلح به الروائي المغربي ليحقق من خلال عمله الروائي الأول، إنها محاولة فنية راقية لإعادة صوغ التاريخ وإسقاطه على الحاضر بطريقة ذكية. رواية تنتزع مكانتها في عالم الروايات العربية ذات المصادر التاريخية، وتنبه إلى غنى التاريخ العربي وطواعيته في يدي فنان مبدع.

قالت فيها لجنة التحكيم التي منحتها جائزة "الناقد" لرواية للعام 1990: مجهود واضح في استيعاب فترة حكم الحاكم بأمر الله، وإسقاط الحاضر عليه، وهو استيعاب للموضوع كما هول للأسلوب، وهو لا يلتزم الغالب التقليدي للرواية التاريخية، إذ يتراوح الشد الروائي بين اللوحات القصصية حيناً والتسلسل الروائي حيناً آخر، تتخللها مقاطع بأقلام مؤرخي تلك الفترة مما يضفي على العمل الروائي عبق التاريخ، فيتضافر الموضوع والأسلوب والشكل في تقديم عمل فني متكامل.

الميزة الأولى -في هذه الرواية هي مقدرتها على الإفادة من التراث السردي الغني- في كتابات مؤرخينا القدامى، وامتلاكها -على الأغلب- ناحية اللغة المتسقة مع مادتها تاريخياً ونفسياً واجتماعياً وهو اتساقيندر أن يحدث في هذا الضرب من الكتابة الروائية المحدثة.

اعتقد أن ميزة هذا النص تتجلى في تحقيق علائق جدلية بين الشخوص واللغات وطرائق السرد. وإذا كانت لغة المصادر والمراجع التاريخية تحتل مكانة بارزة، فإن لغة الكاتب المحاكية لها تضطلع بوظيفة التهجين والباروديا وتفجير السخرية

الخلاصة

وفي ختام هذه المحاضرة يلاحظ أن هذا النمط السردي المغاربي يتسم بجملة من الخصائص تميزه عن غيره من الأساليب الأدبية بما يحويه من عناصر، ومكونات، ووظائف، وأهداف، ومن أهم خصائص السرد ما يأتي:

- يعد السرد فنًا أدبيًّا مبنيًّا بشكل معقد من العناصر المتكاملة الممثلة للحقائق، والأحداث، والأشخاص، والظرف المكاني، والزماني.
- يستخدم السرد الأحداث في الأزمنة المختلفة.
- يستخدم المراحل في طرح الأحداث، إما بشكل كلي أو جزئي فهو بنية حكائية، فهناك بداية تليها مرحلة التعقيد، من ثم الحبكة يليها مرحلة رد الفعل، من ثم مرحلة حل العقدة، ثم مرحلة النهاية، والتي تعد مرحلة الوصول للهدف من وجهة نظر الكاتب عبر الراوي أو السارد.

- يعد علامة لغوية للربط بين المدلول (المتن، الحكاية) والدال (المجسد في المُبنى الفني القصة).
- يمثل السرد الأساس الظاهر للغة كعنصر فعّال في عملية تسلسل الأحداث؛ إذ إنّ للغة غرضًا جماليًا لا يمكن الاستغناء عنه ولا يظهر إلا به.
- يعد السرد بنية شاملة تتضمن عوامل الرغبة، والتبليغ، والصراع.
- يعد السرد بنية أدبية متكاملة تحوي: عناصر تبليغية: السارد (المرسل) والمسرود له (المستقبل) والمسرود (النص الروائي). قناة التبليغ: (ما يقدم بشكل تمهيدي عبر النص من صورة عامة أو فكرة موجزة).

المراجع والمصادر

- ✓ رواية سهرت منه الليالي لعلي الدوعاجي.
- ✓ رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة.
- ✓ رواية مجنون الحكم لبنسالم حميش.
- ✓ عبد الله الركيبي ، القصة الجزائرية قصيرة لأحمد طالب الالتزام في القصة جزائرية المعاصرة في الفترة ما بين 1931-1976.
- ✓ سرد العربي مفاهيم تجاليات .